١٠٧٨
Nahas
دار م. النحاس

حب

1078
HARLEQUIN

أسيرة الماضي

شارلوت لامب

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

سأل فيليب بهدوء: «ما الأمر يا تيد؟» نظر إليه تيد وقال: «اعتقد من الأفضل ان نهبط. ذلك الحقل الذي تحتنا يفي بالغرض، انه منبسط جداً، تمسكا جيداً واجلسا بهدوء ولا تلمسا شيئاً.»

كانت سرعتهم في الهبوط اكثر مما كانت خلال التحليق وكانوا يهبطون بطريقة غريبة، بحركات دائرية غير منتظمة مع انحدار جانبي. ثم ارتطمت الطائرة بالأرض وللحظة لم تعرف جنيفر ما كان يجري...

شارلوت لامب

شارلوت لامب هي واحدة من أفضل كتاب هارليكوينز المحبوبين جداً والذين تلاقي كتبهم رواجاً. ساعدتها حياتها العملية في تطوير وجه القصص الرومانسية حول العالم.

ولدت شارلوت في الطرف الشرقي من لندن، وأمضت طفولتها المبكرة متنقلة من قريب إلى قريب هرباً من قذائف الحرب العالمية الثانية. وبعد عملها كسكرتيرة في القسم الاوروبي لهيئة الاذاعة البريطانية، تزوجت مراسلاً سياسياً كان يكتب لمجلة التايمز. وتتذكر شارلوت انها بدأت بالكتابة بناء على اقتراحه إذ تقول: «لأنه كان عمل يمكنني القيام به دون الحاجة لأن أترك أولادنا.» أما الآن فان شارلوت تعيش وعائلتها على جزيرة مان.

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

GUILTY LOVE

Copyright © by charlotte lamb 1994

ISBN 0-373-11706-X

Mills & Boon first edition October 1994

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

اسيرة الماضي بقلم شارلوت لامب

ترجمة: ايمان ريدان

سلسلة عبير ١٠٧٨

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات . بيروت . لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٩٧١٨ . فاكس ٧٤٣٦٣١ (٠١) . هاتف: ٧٤٣٦٣٣ - ٧٤٣٦٣٤ (٠١) - ٢١٦٢٩٣ (٠٣)

الفصل الأول

«اخشى ان علي ان اطلب منك من جديد ان تعملي لوقت متأخر الليلة، يا سيدة كراتش.»

كانت جنيفر مأخوذة بعملها كثيراً لدرجة انها لم تلحظ دخول رئيس عملها إلى مكتبها، فجعلها صوته الخفيض تجفل.

التفتت اليه بسرعة، فابتسم لها فيليب هالكوم احدى ابتسامته المتوانية المتهكمة وقال: «اعصابك مضطربة جداً! لم اقصد ان اجعلك تفقدين صوابك من شدة الخوف!»

حدقت به بنظرة فيها مزيج من السخرية والالم، فقد كان كلما دخل إلى غرفة يجعلها تجفل. كان من النوع الذي يجعل معظم العاملين يجفلون. حتى الآن، ومع انها اصبحت تعرفه جيداً لم تكن تقوى على الهدوء عندما يكون موجوداً. بدا وكأنه يجعل الجو مضطرباً اينما وجد، فقد كان صارماً، وعيناه كانتا وكأنهما تستطيعان قراءة ما يجول داخل نفس الطرف الآخر، الامر الذي كان يربك الآخرين، لكنها لم تكن قادرة على اخباره أي شيء من ذلك، لذا قالت ببساطة: «آسفة، كنت شاردة الذهن. ماذا قلت يا سيد هالكوم؟»

رردّد كلماته قائلاً: «اريدك ان تعملي لوقت متأخر الليلة.» فعضت جنيفر على شفتها السفلى. لقد ازعجها الأمر. لاحظ فيليب تلك الحركة الصغيرة التي خانتها فنظر إليها بعينين لاذعتين وسألها: «ايوجد مشكلة في ذلك؟»

كان هناك مشكلة دائماً عندما كان يريدها ان تعمل لوقت متأخر، لان داني كان يغضب في كل مرة يحصل ذلك، لكنها عندما وافقت على العمل اوضح لها فيليب هالكوم أنه يجب ان تكون مستعدة للعمل ساعات اضافية، وليس مجرد العمل من التاسعة إلى الخامسة، فكيف بامكانها التذمر الآن؟ حتى أنه كان هو نفسه يعمل بشكل منهك على نحو اثنتي عشرة ساعة يومياً معظم الايام. كانت عادة تجده في المكتب عندما تصل في الصباح وتتركه هناك عندما تغادر، إلا إذا كان مسافراً في رحلة عمل أو مشغولاً في إحدى الحقول مع فريق من فرق البناء على احد المشاريع العسيرة، حيث يعمل، كما استنتجت، بجد اكثر لساعات طويلة. قيل ان عمال البناء كانوا يشحبون عند رؤيته يهاجمهم ان كانوا يتلكأون في العمل أو يقومون بخطأ سخيف. وكان كل من في الشركة يقدّره ويحترمه، إلا انهم كانوا جميعاً متفقون ان العمل مع فيليب هالكوم ليس بالامر السهل.

كان الوجه الايجابي لعملها ان لديها الكثير من اوقات الفراغ في الايام التي لا يكون فيها بحاجة اليها، وكانت تكسب من المال اكثر بكثير مما كانت تكسبه في أي وقت مضى. وقد اعتادا، هي وداني، على الحصول على ذلك المال الاضافي كل شهر. فاشتريا اثاثاً جديداً، بياضات، ستائر، وادوات طعام، وشيئاً فشيئاً بدأت شقتهما الصغيرة تبدو كما ارادتها جنيفر ان تكون، ولم تكن لتكسب قط ما تكسبه الآن في أي مكان آخر.

وكان ذلك هو السبب الذي جعل داني لا يرغمها على التخلي عن هذا العمل، رغم انه ينزعج كثيراً من الساعات الاضافية التي كان عليها ان تعملها.

لذا هزت جنيفر رأسها، وكبتت تنهيدة كادت تطلقها ثم قالت: «لا، لا توجد مشكلة. يمكنني العمل الليلة. لكن هل عندك فكرة في أية ساعة يمكنني الانصراف؟ إذ علي ان اطهو طعام العشاء لزوجي.»

تساءل فيليب بجفاء: «ألم يحن الوقت بعد ليتعلم ان يطهو طعامه بنفسه؟ أو ان يشتري لنفسه طعاماً جاهزاً في طريق عودته من العمل إلى المنزل؟»

ضحكت جنيفر رغماً عن ارادتها لتلك الفكرة وقالت: «ان داني ليس متحمساً لتناول الطعام الجاهز وهو يحب طعام المنزل.» كان يحب ان يجدها بانتظاره عندما يعود إلى المنزل، وان لم يجدها، كان يخرج احياناً ثانية باتجاه المقهى لتناول فنجان من القهوة. ماتت ضحكتها، وقد ملأ الحزن عينيها.

اتكأ فيليب هالكوم على طاولتها، وهو يراقب تعابير وجهها المتغيرة. كان وجهها يفصح كثيراً عما يخبىء في نفسها.

نظرت جنيفر إليه فرأته يحدق فيها وقد توّرد خداها وكأنها عرفت ما يجول في خاطره.

سألها بطريقة ساخرة تنم عن عدم موافقته قائلاً: «وافترض انك تقومين بكل اعمال المنزل، أيضاً، وغسل وكيّ الثياب؟»

بدأت كلامها قائلة: «هذا ما اعتاد عليه داني، فوالدته كانت تقوم بهذه الأعمال.» ثم توقفت عن الكلام متجهمة، وقد غضبت من نفسها لأنها بدت وكأنها تعتذر عن زوجها. فحياتها الخاصة شأنها ولا دخل لفيليب هالكوم بها، فهي تحب داني، واهتمامها به كان يجعلها سعيدة.

وأشار فيليب هالكوم قائلاً: «كلاكما تعملان دواماً كاملاً.»

قالت مدافعة: «اجل، حسناً... لم يعتد داني ان يهتم بنفسه. لقد كان طفلاً وحيداً كانت امه في منتصف العمر عندما ولد، لذا كانت فرحة جداً ان يكون لها طفل، وحرصت على الاهتمام به كثيراً، فقد كانت سعيدة في افساده.»

قال: «وانت استمريت على هذا المنوال؟»

لم تجب على ذلك. رأى شعور الاستياء باد على وجهها، فأغمضت عينيها لتخبىء افكارها عنه. تمكّن فيليب من معرفتها نمط حياتها، وبدا من الواضح انها لم تكن سعيدة بتلك الاسئلة مع ما تضمنها من انتقادات عن زوجها. وبالطبع كان لديها كل الاسباب لتشعر بتلك الحالة، لم يكن لديه الحق بالتدخل أو حتى بالتعليق. فزواجهما كان شأناً يعنيهما. فان ارادت ان تجعل من نفسها خادمة، لما عليه ان يمنعها.

لوى فمه بمرح مفاجىء، ورغم ذلك لم يغير الموضوع. انه لا يستطيع الا ان يحاول تحسين كل ما يجده ويراه بحاجة لذلك.

سألها: «هل تعيش أمه بالقرب منكما؟ الا يستطيع تناول العشاء معها؟» وكان يبحث دائماً عن حل عملي لأي مشكلة، وذلك ما جعله ناجحاً في اعماله. انه يعرف كيف يجعل الأمور تعمل، الآليات، المال والناس.

اجابته جنيفر بارتباك: «أمه ماتت.»

تأوه فيليب، وقال: «آوه، اسف لسماع ذلك. لقد فقدت والديّ واعرف أية فجوة تنتج عن ذلك، حسناً، اذاً، ألا يستطيع اصطحاب والده للعشاء خارجاً؟»

اجابته: «لقد توفي والده عندما كان داني طفلاً.» وظهرت عليها نظرة الحزن تلك ثانية. نظرة حولت لون عينيها إلى لون غريب، كما الصخور الاردوزية عند تساقط المطر. فكر فيليب هالكوم، وهو ينظر إلى ذلك التغيير.

بقي مع ذلك فضولياً لدرجة جعلته يسألها: «متى ماتت أمه؟» تقدم قليلاً، ليجلس على حافة طاولة مكتبها.

بدت جنيفر متحيرة وهي تجيبه: «منذ سنتين.» لماذا هو مهتم لهذه الدرجة بعائلة داني؟ لقد اعتادت على اسلوب فيليب هالكوم الفظ في العمل وتهكمه، الا انها لم تره يوماً بمزاج كهذا.

وفكر فيليب بصوت مرتفع متمهل: «اذاً لا عائلة له الآن سواك.» فيما كانت عيناه غارقتين بالتفكير. ألهذا السبب افرطت بتدليل زوجها، لتواسيه، وتعوض له فقدان أمه؟

اجابته بصوت منخفض: «لا. ليس له احد سواي.»

كان هناك شيء مؤثر بطريقة قولها ذلك. انها تعمل عنده منذ ستة اشهر ولم يتبادلا أي حوار شخصي من قبل. لم يكن يعرف لماذا يطرح اسئلة حول حياتها الخاصة الآن، لا بد ان جزءاً منه اعترض على الحكمة في اظهار الكثير من الاهتمام بها، ومع ذلك استمر بالتحديق بها، وعيناه تشعان بالفضول. ماذا كانت تفكر؟ ماذا تعني تلك النظرة في عينيها؟

كان هناك شيء يبدو كالاطفال فيها، ورغم ذلك بدأ يشعر ان هناك أسراراً مدفونة وراء نظرتها، وكان فضوله متى استيقظ من الصعب ان يسكن بسهولة.

اعتقد لأول وهلة ان جنيفر كراتش اكثر بساطة من

المعتاد، نقية. ولكنه حتى الآن لم يصل إلى مفتاح شخصيتها ليعلم ما كانت تخبئه، كل ما استطاع معرفته هو انها تخفي شيئاً.

كان فيليب هالكوم مصمماً على الوصول إلى أعماقها ليكشف غموضها، مهما تطلب ذلك.

سألها بكسل: «كم مضى على زواجك؟»

نظرت إليه نظرة غاضبة نوعاً ما، واجابته: «اربع سنوات وعشرة اشهر.»

وجاء دور فيليب ليجفل الآن: «لم تكن عندي فكرة انك متزوجة منذ هذه المدة!» فلم تكن تبدو كبيرة لتلك الدرجة، واضاف: «افترضت انك قد تزوجت حديثاً عند انضمامك الينا.» وتذكر اول مقابلة لهما فجأة، بنوع من الدهشة لأنه يراها بشكل مختلف الآن.

حدث ذلك في صباح بارد من شهر تشرين الأول/اكتوبر، كانت ترتدي ثوباً زهري اللون وقد بدت متوهجة بالدفء في الضوء الكئيب، ومع ذلك بدت يانعة جداً، رغم ان لديها مهارات مكتبية مؤثرة وتقدير جيد من رئيسها السابق، الذي تخلى عنها فقط لأنه نقل شركته إلى جزء آخر من البلاد. واهم من ذلك كله أنها متزوجة، فسكرتيرة هالكوم السابقة وقعت في حبه، دون أي تشجيع، وجعلت حياته لا تطاق بمظاهر الغيرة والبكاء في المكتب مما اضطره لطردها. مجرد تذكره لما حصل يجعله يرتعد، ولا يريد ان يحصل ذلك ثانية، ولذا، اقتصر في لائحته على المرشحات المتزوجات لاستلام الوظيفة فقط.

كان ينوي ان يختار امرأة في أواسط العمر من باب

الحيطة، لكن اتت بعد ذلك جنيفر كراتش إلى المكتب، ولسبب غير واضح وجد نفسه يقدم لها الوظيفة.

برر قراره فيما بعد، بقوله لنفسه ان لديها سلوكاً مهذباً، الذي عرف انه سيجده امراً مريحاً في المكتب بعد المشاحنات التي يلقاها في مواقع البناء. وكانت أيضاً كفوءة جداً وصغيرة جداً، مما يعني انه لن يجد صعوبة في تدريبها إلى نوع السكرتيرة الذي كان يريده. ومن ثم، فإن واقع كونها متزوجة جعله يعطيها الوظيفة، وما زال لا يعرف عنها الكثير، وبالرغم من ذلك كان مسروراً لأنه فعل.

مع ذلك، فقد شجعها على ابقاء مسافة بينهما، ولم يعرف لماذا كان يحاول ان يتسلق تلك الهاوية الآن، قد يندم على ذلك لاحقاً، لكن في هذه اللحظة وجد نفسه فضولياً جداً للاطلاع على شؤونها. اراد ان يعرف أي نوع من الحياة تعيش بعيداً عن المكتب، وأي رجل تزوجت، وان كانا كلاهما سعيدين، خلال الشهور الست التي عملا فيها معاً، إذ قلما تكلما عن أي شيء سوى العمل، ولم تكن لديه فكرة عن حياتها الخاصة.

سألها: «ماذا يفعل زوجك بالضبط؟» لاحظ ارتباكها وبريق عينيها فيما كانت تحدق به متجهمة.

من الواضح انها كانت مندهشة لاهتمامه المفاجيء. وكان عليه ان يكون حذراً كي لا تتكون لديها أية افكار خاطئة وتبدأ شكوكها من ناحيته.

اجابته ببطء: «انه مبرمج كومبيوتر في شركة الكترونيات، شركة مارتن ودايف.»

كان يعرف تلك الشركة. فأومأ برأسه، بتأثر شديد قائلاً:

«انها شركة ممتازة. برمجة الكومبيوتر عمل يتطلب الكثير من الصبر، وعادة الكثير من الاعمال المعقدة جداً... هل يحب عمله؟ هل هو بارع فيه؟ اعتقد انه كذلك والا ما كان ليفعل.»

اجابته: «لطالما كان بارعاً في الآلات من أي نوع كانت.»

في الواقع كان داني يجد ذلك العمل مضجر، إلا أنه كان يفضل العمل كميكانيكي يملك كاراجاً مخصصاً في اصلاح السيارات والدراجات النارية الفخمة. لقد احب داني ذلك العمل، وادمى قلبه التخلي عنه، إلا انه قبل سنتين وقع له حادث على دراجته النارية واصيب اصابة بالغة، وبدا الفترة وكأنه على وشك الوفاة. كانت جنيفر تحمل ذكريات مريعة عن تلك الفترة. كانت تفضل ان تنسى كل ما جرى خلال ذلك الاسبوع من حياتها.

اشرف على داني اطباء جيدون وممرضون مخلصون، واستطاع ان يتخطى الأمر بعد مرور اشهر من المرض واجراء عدة عمليات له، لان جسمه كان قوياً، شاباً، ومعافى، إلا ان الرجل الذي عاد اليها لم يكن داني الذي احبته وتزوجته.

لقد ذهب ذلك الرجل، وربما كانت الوحيدة في العالم التي تتذكر داني ذاك. كان يضج بالحيوية والمرح وخفة الظل والحب. كان صديقها بقدر ما هو حبيبها لأنهما كانا يعرفان بعضهما البعض طوال حياتهما. كان لديهما أصدقاء قلائل، إلا أن أياً منهم لم يكن مقرباً اليهما. ومنذ الحادث لم يريا ايا منهم إلا قليلاً، فقد كانوا يأتون في البداية لزيارته، وكانوا معظمهم ميكانيكيون، ولم يكن داني يريد رؤيتهم، وقد اوضح لهم ذلك.

داني لم يعد يستطيع القيام باي عمل يتطلب اجهاداً صحياً، ولذا لم يعد ممكناً ان يعود لعمله في الكاراج. إلا ان صديقاً قديماً للعائلة كان يعمل مديراً تنفيذياً في شركة للالكترونيات، اقترح عليه ان يشغل وظيفة مبرمج كومبيوتر.

كان الكومبيوتر هوايته لسنوات طويلة، ولم يحتاج داني إلا إلى مقرر تعليمي مختص في مدرسة مهنية لمدة سنة ليوجه مهاراته في الاتجاه الصحيح، وكان أجره جيداً جداً دون شك، لكن البرمجة التي كان يقوم بها كانت عادة مملة. وبقي يعاني من آلام في الرأس واجهاد بصري، احدى التأثيرات التي نتجت عن الحادث واستمرت. كان داني يفضل كثيراً ان يمارس عمله السابق.

قاطع فيليب هالكوم فجأة افكارها بسؤاله: «بماذا تفكرين؟» مما جعل جنيفر تجفل بشكل واضح، وتنظر إليه بعينين واسعتين.

اجابته: «آوه، مجرد... اني... من الافضل ان اتصل بزوجي حالاً واخبره أنني سأتأخر عن العودة إلى المنزل. متى تعتقد أنني استطيع المغادرة؟»

اجابها فيليب باقتضاب: «ليس عندي فكرة.» واستدار مبتعداً وقد علا التجهم وجهه، وكأنه تعب من محادثتهما. سار نحو الباب وغادر دون ان يلتفت إلى الوراء. اخذت جنيفر تحدق فيه وهي تبتسم ابتسامة تجمع المرارة والسخرية.

عاد إلى طبيعته، اليس كذلك؟ وتساءلت لماذا اصبح فجأة فضولي جداً. وطرح كل هذه الاسئلة الشخصية، لم يكن

من طبيعته اطلاقاً، لكن جنيفر لم تكن مهتمة فعلاً بفيليب هالكوم. وفيما اقفل الباب وراءه رفعت سماعة الهاتف لتتصل بزوجها. وفكرت، ارجوك لا تكن غاضباً يا داني! فيما كانت تدير قرص الهاتف.

كان غاضباً، رغم ذلك. صرخ على الجهة الأخرى بعد ان نقلت إليه الخبر بصوت رقيق هادىء، قائلاً: «قولي له لا!»

قالت: «لا استطيع. حسناً...»

فقاطعها داني بغضب قائلاً: «اوه، يمكنك ذلك! اخبريه انك لا تستطيعين العمل لوقت متأخر. انك في المكتب منذ التاسعة صباحاً، ما هذا؟ ما من احد عليه ان يعمل لاكثر من ثماني ساعات في اليوم! توقفي عن العمل عند الساعة الخامسة والنصف!»

«لكن، داني...»

تجاهلها واضاف بصوت عال وعدائي: «عند الخامسة والنصف تنهضين وتغادرين العمل، يا جنيفر! هل تسمعينني؟ إنه لا يستطيع ان يجبرك على البقاء. قولي له انك آسفة، لكنك مضطرة للذهاب إلى المنزل لتحضري العشاء لزوجك. قولي له ان يتصل بي ان كان يريد برهاناً، وانا سأخبرة ماذا بامكانه ان يفعل بعمله.»

اجابته: «لا استطيع فعل ذلك يا داني.» وتابعت لتبرر له ذلك بقولها: «أنت تعلم أنني وافقت على العمل في اية ساعة...»

قاطعها بصوت قاس قائلاً: «لم توافقي على ان تكوني موظفة ضعيفة! او انك فعلت؟»

حاولت ان تحدثه لتهدىء مزاجه المضطرب، فقالت: «انت

تعرف أنني لا اعمل بجهد بالغ، في ساعات العمل الفعلية، ان عدلت بين الوقت الذي لا اعمل فيه اكثر أو اقل من المطلوب، كما أن الراتب الذي اتلقاه جيد. واذا اردت الاحتفاظ بهذه الوظيفة يجب ان اقبل العمل خارج ساعات الدوام التي تناسب فيليب...»

وصاح داني بصوت كلسع السوط قائلاً: «هل صار فيليب الآن؟» ارتعبت وقد شحب لونها. هذا ما كانت تخشاه، وتأمل ان تتجنبه، وهو أثارة غيرته المتهورة عندما قال: «منذ متى وأنت تنادينه باسمه الأول؟»

انكرت ذلك بقلق قائلة: «لم افعل. كنت ساذكر اسمه بالكامل لكنك قاطعتني!»

قال: «لا تحاولي التملص من ذلك! كنت اعرف ان هناك امراً ما. كل تلك الامسيات المتأخرة والاعذار الواهية حول وقت العمل ليتناسب مع ساعات عمله، دون ان انكر الطريقة التي بدأت تكسبين فيها فجأة ضعف الأجر الذي كنت تتقاضينه سابقاً... آه، انه واضح ما كنت ترمين إليه أيتها... الصغيرة.»

انفجرت صائحة: «داني! لا تقل!» وهي ترتجف فيما امسكت سماعة الهاتف بقوة مما اظهر بياض عقد اصابعها.

بدا على صوته المرارة عندما قال: «الحقيقة تؤلم، اليس كذلك، يا جنيفر؟ افترض انك راضية الآن! لا استطيع ان امنحك كل ما تريدين لذا تشعرين بأنك مخولة الحصول عليه من مكان آخر!»

همست قائلة: «لا.» وقد تساقطت الدموع على وجهها، واضافت: «هذا ليس صحيحاً يا داني. كيف يمكنك قول هذا

لي؟ انت تعرف بأني احبك. لقد احببتك دوماً، ولم أتغير.»

قال: «لكن انا تغيرت! اليس هذا ما تقولينه؟ انها غلطتي ان اصاب بذلك الحادث ولم امت بعدها.»

اجابت: «لا يا حبيبي. ارجوك لا تقل هذا. اكره ذلك عندما تتحدث بهذه الطريقة.»

قال بصوت اجش منخفض اسوأ من صراخه الغاضب قبل قليل: «لم تحبي قط مواجهة الواقع يا جنيفر. الحقيقة هي ما كان علي ان ابقى حياً، فالحالة التي انا فيها، لا يحق لي فيها بالعيش. انا مجرد آلة عديمة الفائدة لم تعد تعمل. أنا انتمي إلى كومة الخردة.»

وضعت يدها على فمها لتكتم شهقة انطلقت منها وحاولت يائسة ان تفكر في شيء تقوله. لو كانت هناك معه لكانت استطاعت ان تهدىء من غضبه كما فعلت عدة مرات من قبل عندما كان يعاني من حالات كهذه. لم تكن قادرة ان تفكر بأي شيء تقوله له دون ان يستشيط غضباً بعدها. كان صعباً عليها ان تقول له شيئاً لم يسمعه من قبل دون ان يرفضه باحتقار ساخر، لكنها كانت دائماً تصل إلى إقناعه بأنها تحبه.

واكمل داني حديثه ببرودة قائلاً: «على الأقل لو أنني مت في ذلك الحادث لكنت أكثر نفعاً، فالاعضاء السليمة بي كانت لتنقذ حياة شخص آخر! ربما كنت ذي فائدة لشخص ما. فكليتاي تعملان بشكل جيد وكذلك قلبي يعمل بانتظام وعندي نظر جيد، حتى وان كان كبدي لم يعد يعمل كفاية بعد...»

ارتعش صوتها عندما اسرعت لتقول: «داني، انت تعرف

ان ذلك ليس صحيحاً. انت لست عديم الفائدة وكنت تمنيت الموت أيضاً لنفسي لو انت مت!»

بقي صامتاً للحظة طويلة. وبالكاد كانت تلتقط انفاسها وقد ارتاحت بعد أن استطاعت تهدئته، وبعد ان عاد ذلك الشخص الذي أحبته طوال حياتها.

لقد ترعرعا في الشارع نفسه. كان الصبي عند الباب المجاور، واكبر منها بسنتين، وفارس أحلامها منذ بدأت تكبر في هذه الدنيا وتلفظ اسمه، متوسلة ان ينتظرها. انتظرها وبقيت معه. تزوجا باكراً وعرفا طعم السعادة لوقت قصير قبل ان تصيبهما الحادثة ـ المآساة.

كانت تفكر احياناً بأنهما كانا صغيرين جداً عندما تزوجا، لكن لو انتظرا فربما لم يتزوجا قط. لقد ادركت الآن بأن داني ما كان ليتزوجها بعد الحادثة التي اصابته لأنه طالما الحّ عليها ان تتركه، ان تطلقه، لكنها رفضت.

همست قائلة: احبك يا داني.» وسمعته يتنهد.

قال بسطحية: «كان من الأفضل لك لو أنني مت.»

اطلقت تنهيدة متقطعة حرصت على ألاّ يسمعها ثم قالت بسرعة: «لا يا عزيزي، لم يكن كذلك. انا بحاجة إليك.»

ضحك وبدا صوته خفيفاً وساخراً. تغير صوته وبدا ناعماً حين قال: «من يعرف من اجل ماذا! لكن شكراً يا حلوتي، انت تعرفين أنني بحاجة لك، كنت دائماً وسأبقى دوماً. حصلت على افضل عرض عندما أقسمنا بعهد الزواج إنني اخشى انك لم تنالي الحظ نفسه. اني آسف لقد اخليت بوعدي. لم اقصد ذلك، انه سوء طالعي... و.»

قالت برقة: «اعرف. اعرف يا داني. هذا ليس مهماً.»

قال بنبرة غاضبة مختصرة: «كفى. انه مهم. اكره نفسي لأنني اقحمتك في كل هذا. اسمعي، ساعمل حتى ساعة متأخرة، واتناول بعض السندويشات على مقعدي.»

قالت: «لا تسبب لنفسك صداعاً. انت تعرف ان الجلوس طويلاً امام جهاز الكومبيوتر مضر بصحتك.»

قال، محاولاً ان يبدو مضحكاً: «اجل، يا أمي، كذلك هو بالنسبة لك. ولا تدعي ذلك المدير هالكوم يجبرك على الجلوس امام الكومبيوتر طوال الليل. تدبري امر عودتك باكراً إلى المنزل. سأكون بانتظارك وقد اعددت بعض شراب الكاكاو الساخن.»

قالت وفمها يرتعش: «احبك.»

قال بصوت متهدج بالمشاعر: «إنني لا استحقك، ولكنني احبك فعلاً.» ثم اقفل الخط.

وضعت جنيفر سماعة الهاتف جانباً ثم القت رأسها على الطاولة وهي ترتجف. لقد كان وقتاً عصيباً. واعتقدت لبرهة بأنها لن تقدر على ايقافه عند شفير الهاوية.

كان يمكنها ان تترك إشعاراً وتتخلى عن هذه الوظيفة، لو انها اعتقدت ان هذا سيحدث أي فارق، لكن في الوقت الذي بدأت فيه العمل هنا عرفت السبب. رأى داني العديد من الاطباء الاخصائيين وقد أجمع الكل على رأي واحد. أي شيء كانت تفعله كان يثير ردود فعل داني غير الطبيعية. ولن يجدي نفعاً ان توقفت عن العمل ما عدا اليوم أو يومين، بعدها سيجد أي شيء آخر يلومها عليه. تقلبات مزاجه الخطيرة كانت كلها نتيجة لما حدث له من جراء الحادث وما تبعه بعد ذلك. ومهما حاولت ان ترضيه وتطيب خاطره فلن

تمنع حدوث تقلبات مزاجه، وخلال تلك الأوقات العصيبة كان يلومها ويؤنبها على ذلك.

أقصى ما كانت تستطيع فعله لمساعدته هو ان تبقى صابرة وتتعامل مع كل حالة ساعة حدوثها. وعندما كان يصبح اكثر عنفاً، كانت تلجأ إلى اقناعه بتناول العلاج الذي أوصى به اطباؤه، قبل ان يفقد السيطرة كلياً على نفسه.

حتى الآن كانت قادرة دائماً ان تفعل ذلك. لم يكن اطباؤه متأكدين تماماً ان كانت حالته ستتحسن او ستتراجع. كانت جنيفر تشعر احياناً بالتعب بحيث لم تعد تبالي، لكن كان عليها ان تهتم، فداني بحاجة لاهتمامها. فقد كان يهتم بها يوم كان قوياً، والآن حان دورها ان تهتم به.

رفعت رأسها وعطست، فيما راحت يدها تعبث في درج المكتب بحثاً عن منديل ورقي، تناولتها ومسحت وجهها وعينيها الدامعتين.

انفتح الباب المؤدي إلى مكتب فيليب هالكوم فجأة، الذي مشى نحوها ليقف قربها ساكناً وقد رأى وجهها قبل ان تتمكن من اشاحته لتخفي دموعها.

قطب جبينه متسائلاً: «ما الخطب؟»

اجابته: «لا شيء، انا بخير، إلا أنني اشعر وكأني بدأت اصاب بالزكام!» فيما كانت ترمي بالمنديل الورقي في سلة المهملات.

وقف هناك ينظر إليها، غير مقتنع، وقد قطب حاجبيه. وبلهجة اوضحت انه وضع النقاط على الحروف بشكل دقيق تماماً ولم تعجبه اجابتها، سألها: «ماذا قال زوجك عندما اخبرته انك ستعملين لوقت متأخر؟»

تمنت لو انه يهتم باعماله، فلطالما فعل ذلك، حتى الآن. لم يسأل من قبل اطلاقاً هكذا اسئلة فلماذا يفعل ذلك الآن؟ اجابته: «سيشتري لنفسه سندويشاً.»

لوى شفتيه وسألها: «امتأكدة انه يستطيع القيام بذلك؟»

«لا تكن ساخراً!»

نظر اليها نظرة تغمرها الدهشة ونظرت إليه جنيفر في المقابل بغضب، إلا انها دهشت من تصرفها في الوقت ذاته. انها لا تتذكر انها صرخت في وجهه من قبل قط.

قال لها فيليب هالكوم بجفاف: «لقد ربتني أمي على ان اهتم بنفسي، وبأي شخص يتواجد في حياتي. كانت تقول لي بأن زوجتي ستشكرها يوماً على هذه التربية، إلا أنني لم اتزوج قبل ان تموت. وهكذا فانها لم تسمع كلمة شكراً، إلا أنني اعتقد ان ذلك هو السبب الذي يجعلني انزعج عند رؤية الرجال الذين يتوقعون من زوجاتهم الاهتمام بهم كلياً.»

سألته جنيفر بفضول: «هل كانت أمك تشبهك بشيء؟» فابتسم لها. ان اليوم هو حقاً يوم الأمور التي تحدث لأول مرة! فانه لم يبتسم لها ابتسامة كهذه قط، كما انه لم يسألها العديد من الاسئلة عن حياتها الخاصة من قبل.

تمتم قائلاً بلهو تشوبه بعض المرارة والتجمهم: «احب لو أنني استطيع القول نعم. لكن لأكون صادقاً، لا اعتقد ذلك. اتصور أنني اخذت ناحية والدي في العائلة فأمي كانت قصيرة، ذات شعر جميل ناعم جداً...» وقطع كلامه، ونظر إلى جنيفر بثبات للحظة فيما كانت ترد نظراته بمثلها، وقد اتسعت عيناها من الحيرة.

واستحثته قائلة: «نعم؟»

قال فيليب بتمهل: «كانت تشبهك نوعاً ما. لم يخطر لي ذلك الا الآن، لكن هذا صحيح.»

وفكر، ربما كان هذا هو السبب الذي جعله يختار جنيفر كسكرتيرة له بالرغم من ان عقله اخبره انها صغيرة جداً. لقد تلائمت مع صورة باطنية في عقله.

جفلت جنيفر وسألته باطراء: «حقاً؟» ابتسمت، وقد انار وجهها الصغيرة مما جعل فيليب يطرف عينيه.

قال لها: «عندما تبتسمين تبدين مختلفة جداً.»

ابتسم لها مما جعل ملامحه القاسية تتحول إلى ملامح رقيقة فقالت له بتمهل: «وكذلك انت.»

وبسرعة لاحظ فيليب التغيير الذي ألمَّ بها فسألها بنوع من نفاد صبره المعتاد: «ما الأمر الآن؟»

اجابته بصوت اجش: «لا شيء. مجرد افكار سوداء انتابتني.»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

فيما مرت الأسابيع التالية وأسرف الصيف في غناه، حيث امتلأت الحدائق بشذا الورود وطنين النحل، واكتست الأشجار بأوراقها الخضراء، إزداد شعور جنيفر بالاضطراب عمقاً أيضاً.

منذ بعد ظهر ذلك اليوم عندما بدا فيليب هالكوم فضولياً بعدما طرح عليها كل تلك الأسئلة، فان علاقتهما تغيرت بشكل يتعذر تحديدها. فقد بدأ يناديها بجنيفر بدلاً من السيدة كراتش، كما أخبرها بطريقة ارتجالية: «على فكرة، يمكنك أن تناديني فيليب أيضاً.»

جعلها هذا ترتجف. عندما بدأت العمل عنده في البداية، حرص على أن يجعلها تعرف أنه يحب العلاقة الرسمية بين المدير وسكرتيرته، وقد ناسبها ذلك أيضاً، وما زال كذلك.

الا أن العمل يومياً مع بعض هو أمر جوهري. فهما يقضيان ساعات معاً، ولا يسعهما التهرب من معرفة بعضهما جيداً. ومن الواضح أنه قد يكون هناك مخاطرة في ذلك، خاصة ان كان زواج المرأة غير مستقر وتشعر بالتعاسة، كما هو حالها. لذا عندما حرص فيليب هالكوم على ابقاء مسافة بينهما شعرت بالارتياح.

بدا لها انه من غير الحكمة أن تسقط تلك الرسميات، لكنها لم ترغب ان تجادل في شأنها، فقد تجعلها تبدو في غاية الأهمية. إذاً ليدعها جنيفر، لكن عندما كانت هي تتحدث

اليه كانت تدعوه عادة السيد هالكوم، متظاهرة عدم ملاحظة النظرة التي كان يرمقها بها في كل مرة تدعوه كذلك.

كان منشغلاً جداً بمشروع يعمل عليه منذ أسابيع، فهناك طريق جديدة يجب أن تشق لتصل ببلدة صغيرة تبعد مسافة نصف ساعة بالسيارة عن سبوتس. كانت هناك شركات أخرى للمقاولات تتنافس للحصول على العقد، لكن فيليب تيقن من أفضليته عليهم، لأن ذلك النوع من العمل قد درجت مؤسسته على القيام به في الماضي، وكان لديه الكثير من المعدات المطلوبة للقيام بذلك، اضافة إلى قوة اليد العاملة لديه. لذا كان بامكانه ابقاء تقديراته منخفضة دون التعرض لمخاطر الحسومات على أسعار المواد اللازمة. إذا حظيت مؤسسته بالعقد فانها ستتناسب مع الأعمال الأخرى التي تنوي انجازها خلال تلك الفترة. ويعني هذا في الحقيقة انه لن يستغني عن العمال الطارئين الذين استأجرهم لأعمال محددة. وكان فيليب هالكوم من نوع مدير العمل الذي يحب أن يقدّم لموظفيه الاستقرار في العمل.

تعلمت جنيفر ان تحترمه أيضاً، وكان ذلك سبباً آخر لعدم رغبتها أن تغير وظيفتها لو أتيح لها ذلك.

كان شهر تموز /يوليو حاراً جداً، وما من أحد رغب أن يعمل كثيراً. لكن جنيفر كانت تعمل لساعات متأخرة كل ليلة لمدة اسبوع فيما كان داني يستاء من ذلك بمرارة.

عشية يوم الجمعة، أنهى فيليب أخيراً التقديم الطويل الذي كان يمليه عليها لساعات حيث كانت تدخله في الكمبيوتر فيما كان يسير خلفها محدثاً. قال: «أوه. كم أنا متعب! كفانا يا جنيفر. يمكنك أيضاً الذهاب إلى البيت.

أرجئي طباعة ذلك حتى صباح يوم الاثنين.» ثم نظر إلى الساعة وقال: «هل تأخر الوقت إلى هذا الحد؟ ولم تتناولي شيئاً منذ وقت الغداء؟ لِمَ لم تقولي شيئاً؟ كان بامكاننا احضار بعض السندويشات.»

قالت: «لا بأس، سأعد شيئاً لنفسي عندما أصل إلى المنزل.» كانت تجلس في وضعية واحدة لوقت طويل، لذا ترنحت قليلاً عندما.

سألها فيليب: «هل أنت بخير؟»

قالت: «آسفة... إنني بخير.» كذبت عليه وقد أحست بنظرته الساخرة.

قال: «لا يبدو عليك ذلك. فأنت شاحبة اللون، لم أركِ قط ضعيفة هكذا. يجب أن ألوم نفسي لأنني طلبت منك العمل كثيراً. كان الأمر قلة تفكير مني. اني آسف يا جنيفر... لِمَ لا نذهب إلى مكان ما ونتناول العشاء ونحتسي قليلاً من عصير البرتقال، فقد تمنحك بعض اللون إلى وجهك؟»

صرخت بقوة: «لا! شكراً. يجب أن أذهب إلى المنزل.» ورأت حاجبيه يرتفعان لدى سماع نبرتها.

سألها بطريقة جافة: «مما أنتِ خائفة يا جنيفر؟ هل أنت خائفة مني؟ ستكونين بأمان تام معي.»

تمتمت قائلة: «لا. بالطبع لا، ليس هذا... يجب أن أذهب إلى المنزل، سيكون زوجي قلقاً عليّ.»

لم يجادلها أكثر، انما تبعها إلى الخارج، وراقبها وهي تصعد إلى سيارتها الفورد الحمراء.

أخبرها قبل أن تنطلق قائلاً: «سأعمل خارج المكتب صباح يوم الاثنين، لا تنسي.» أومأت برأسها، ثم أضاف

قائلاً: «خذي قسطك من الراحة في عطلة نهاية الاسبوع.»

عندما وصلت كان داني خارج المنزل. لم يعد قبل منتصف الليل في الوقت الذي كانت فيه جنيفر نائمة. حاولت أن تبقى مستيقظة، لكنها مرهقة. استيقظت عندما تعثر داني بشيء في غرفة جلوس شقتهما الصغيرة. صوت الارتطام وقد تبعه سباب جعلها تستيقظ مذعورة. جلست عندما فتح باب الغرفة وأشعل النور.

تمتم داني بغلاظة وهو يحدق فيها قائلاً: «آه، ها أنت هنا أيتها الحقيرة!» عرفت على الفور انه كان في قمة غضبه لتأخرها في العمل.

قفز الحذر في داخلها، خافت وشحب لونها. فهو عندما يكون غاضباً هكذا يصبح عنيفاً ويبدأ بضربها. وفي اليوم التالي يبكي متوسلاً اليها ان تسامحه. وكانت تفعل ذلك دائماً.

لا يمكنها أن تتوقف عن حب زوجها، فقط لأنه كان يمر بفترة سيئة جداً. لقد أحبت داني منذ أمد بعيد حسبما تذكر. لقد خاضا ذلك سوية، فرباط الألم قد جمع بينهما بقوة، كما فعل رباط الحب منذ زمن طويل.

قالت بهدوء آملة ان تهدىء من روعه: «اني آسفة، لقد تأخرت ثانية يا داني. لكن لن يكون الأمر سيئاً الاسبوع القادم، لأننا لن نكون منشغلين جداً. كنا نحضر تقديماً لهذا العقد الجديد...»

لوى شفتيه فيما حدق بها وقال: «لا تقدمي لي أكاذيب كهذه! اعرف ماذا كنت تفعلين. ظننت هذه المرة أنك ستبقين طوال الليل، هذه هي الخطوة التالية، أليس كذلك؟ تريدين ان

تمضي الليل بطوله. هكذا يفعل المحبون أو ان لديه زوجة قد تعارض ذلك؟»

كانت جنيفر متعبة جداً حتى كادت ان تبكي. فقالت بضجر: «لا تبدأ ذلك ثانية يا داني. كم مرة علي ان أخبرك انه ليس هناك شيء شخصي بيني وبين فيليب هالكوم؟»

توجه نحوها قائلاً: «كاذبة!»

صاحت به قائلة: «توقف، يا داني.»

صاح بغضب شديد قائلاً: «لن اصبر على ذلك بعد الآن! ستعطيه إشعاراً نهار الاثنين، هل سمعت؟ ستتركين هذه الوظيفة، أو تتركينني. اختاري بنفسك!»

ردت عليه: «سنتحدث عن ذلك الموضوع في الصباح.»

فقال لها: «بل سنتحدث عنه الآن!»

رأت جنيفر ان الجدال لن ينفع معه في هذه الحالة، لذا نهضت والتقطت روب نومها عن الكرسي المجاور.

سألها داني: «إلى أين أنت ذاهبة؟»

قالت فجأة بغضب: «لأنام على الأريكة.»

امسك داني شعرها الطويل وشدها بعنف مما جعل الدموع تنهمر من عينيها.

صاحت به: «أنت تؤلمني يا داني!» وفجأة رماها بعيدة عنه وسقطت بقوة على السرير وارتطمت وجنتها بحافة السرير. صرخت من شدة ألمها ثم نهضت ويدها على وجهها.

قال لها: «لِمَ لا تعترفي بذلك. انه صديقك، أليس كذلك؟ اجيبي، أليس كذلك؟»

قالت: «لا، يا داني!» وارتفع صوتها أكثر قائلة: «لا، لا، لا!»

صاح بها: «بلى.» ضربها بقسوة وأوقع ذلك في نفسها صدمة كبيرة منعتها من البكاء، وتعثرت ثانية وهي ترجع للوراء لتسقط على السرير.

غمغم فيليب بصوت أجش قائلاً: «أنت زوجتي!»

شعرت جنيفر ان ملامح وجهه تدفق كرهاً وتظهر حافزاً لفرض ملكيته لها أكثر مما تنم عن حب.

حاولت جنيفر تهدئته ومواساته، فما كان منه إلا أن نهرها قائلاً: «دعيني وشأني! انت السبب، هل تعتقدين اني لا أعرف انك لا تحبينني؟ هل تعتقدين اني لا أستطيع أن أشعر انك تحاولين التملص مني؟ انك تحتقرينني لأني لا أستطيع منحك طفلاً...»

قاطعته وهي تؤكد له قائلة: «لا يا داني، لا يا حبيبي. أنا أحبك، وما احتقرتك يوماً، وليس مهماً أمر الأطفال، بإمكاننا أن نرعى واحداً. لما لا نقوم نلك؟ اننا ما زلنا شابين، لا بد انه يمكننا ان نرعى...»

كان هناك نبرة أمل في صوتها، ان تمكنا من الحصول على طفل فربما ينتهي أخيراً، هذا الكابوس الذي تخبطا فيه طوال سنتين؟ سيكوّنا عائلة فعلية من جديد، وسيعود الحب وسيعود داني إلى سابق عهده.

لكنه رفع رأسه وصرخ في وجهها قائلاً: «لا أريد طفل شخص آخر، أريد طفلاً مني أنا. الطفل الذي سنرزق به عندما...»

فصرخت كرباً قائلة: «لا تكمل!» وكأنه طعنها في صميم قلبها. ثم أضافت: «لا تتكلم عن ذلك.»

إنها مضطربة دائماً، منذ ان وقع حادث الاصطدام مع

www.elromancia.com

داني، وجعل ذلك الخبر امه تنهار نتيجة تعرضها لنوبة قلبية وتموت بعد يوم، مجرد ساعات قبل أن تفقد جنيفر، الطفل الذي كانت تحمله. لقد كانوا جميعهم في المستشفى عينه ذلك الاسبوع. داني في غيبوبة، لا يعرف شيئاً عما يحدث للمرأتين اللتين يحبهما، فقد ماتت أمه في القسم المخصص للعناية بالقلب وجنيفر إلى جانبها، وبعد ساعات في ذلك اليوم نفسه تعرضت جنيفر لولادة مبكرة وفقدت طفلها، وأدركت جنيفر خلال ذلك الاسبوع ما معنى أن تعيش في الويلات.

قال لها داني بمرارة: «أرأيت؟ انك لا تستطيعين التحدث عن ذلك حتى! لذلك أنت ما عدت تحبينني، فحلمك الكبير كان ان تنجبي أطفالاً. هل تعتقدين انني نسيت كم كنت سعيدة عندما عرفت انك ستنجبين طفلاً؟ كان كل ذلك ليصبح حقيقة لنا، أليس كذلك؟ ثم وقع لي الحادث وماتت أمي وفقدت أنت الطفل، ومنذ ذلك الحين وأنت تكرهينني.»

فقالت له: «لم أكرهك يوماً يا داني. لا أستطيع ذلك، فأنا أحبك. وكل هذا ليس إلا من نسج خيالك... فيليب هالكوم أيضاً، لا شيء من كل ذلك صحيح، فليس هناك شيء بيني وبينه.»

فتمتم قائلاً: «إذاً لماذا لا تتخلين عن تلك الوظيفة؟»

فأطلقت جنيفر تنهيدة طويلة متعبة، وقالت: «أجل، لا يسعنا الاستمرار هكذا، يا داني. أرى ذلك. سأستقيل نهار الاثنين، وأبحث عن وظيفة أخرى.» لم تكن تريد القيام بذلك، لكنها الليلة رأت الأسوأ وهذا يكفي. انها تعرف انها لا تستطيع تحمل المزيد بعد. فهي ليست سوى انسانة وقد طفح

بها الكيل... فيما انفجارات داني الغاضبة تصبح أكثر عنفاً، وعليها التحدث إلى طبيبه المختص، فالأمر أصبح مقلقاً جداً.

استكان داني وقال: «صحيح... صحيح... تفعلين ذلك.» ثم غط فجأة بعد ذلك بوقت قصير في النوم تاركاً جنيفر مستيقظة تماماً وكئيبة، ولم تستطع النوم إلا بعد ساعات.

عندما استيقظت كان ضوء النهار يملأ السماء والأرض، ولم تستطع للحظة أن تتذكر ما حدث الليلة السابقة فنظرت إلى المنبه. هل غرقت في النوم؟ هل ستتأخر عن عملها؟ كانت الساعة تقارب العاشرة فقفزت من سريرها، وأدركت انه يوم السبت، وهو يوم عطلة.

سمعت أصواتاً في المطبخ. وبدأت تتذكر الليلة الماضية، فشحب وجهها واكتأبت عيناها. عليها أن تترك وظيفتها، لقد وعدت داني بذلك وعليها الالتزام بوعدها.

فيليب لن يسره ذلك، ولن يكون اخباره بالأمر سهلاً. حسناً، لكنها لن تراه ثانية بعد ذلك، لذا ما همّ ما قد يفكر به؟ لا. انه يهم. لم تكن تريد ترك العمل فانها ستفتقده...

إلا انها قالت لنفسها بغضب، توقفي عن ذلك! لا حق لك بأن تفتقديه، أنت زوجة داني وهو بحاجة اليك. انسي فيليب هالكوم، فلا شأن لك به وان كنت قد بدأت تشعرين نحوه بشيء. فانه من يستحسن أن تتركي العمل.

بعد لحظة دخل داني وهو يرتدي روباً أسود وأحمر اللون، حاملاً بيديه صينية عليها شاي وخبز محمص.

توقف داني وأخذ يحدق بها، ثم اكفهر وجهه وشحب لونه فيما بدت عيناه غائرتين.

همس قائلاً: «أوه يا جنيفر، ماذا فعلت بك؟ وجهك المسكين الصغير...»

نظرت اليه بنوع من الشك، غير متأكدة تماماً كيف يمكن أن يتقلب مزاجه.

وضع الصينية على المنضدة وجلس إلى جانب جنيفر. اسقط رأسه بين يديه، وقال: «لم أتذكر شيئاً هذا الصباح؟ أيمكنك أن تصدقي ذلك؟ اني لا أنكر حتى اني فعلت لك أي شيء.»

صدقت كلماته، إذ لم تكن المرة الأولى التي ينسى فيها أحداث الليلة السابقة.

رفع رأسه بتمهل وقال: «انني آسف، يا جنيفر. آسف جداً... سأحاول، سأحاول فعلاً أن لا أدع شيئاً كهذا يحدث ثانية.» وبدت عيناه صادقتين جداً وكئيبتين من شدة الندم والحزن.

أومأت برأسها.

قال: «لن أطلب منك أن تسامحينني، اعرف اني لا أستحق ذلك... لكن قولي فقط انك تعرفين اني ما قصدت اذيتك هكذا؟ أنت تعرفين اني أحبك، أليس كذلك، يا جنيفر؟» وظهرت في عينيه علامات اليأس فيما اضاف قائلاً: «لن تتركيني، هل ستفعلين؟»

إن الانسان لا يتخلى عن شخص أحبه فقط من اجل قدره. فلم تكن غلطة داني انه لم يعد الرجل الذي تزوجته يوماً، انه لم يطلب ان يكون عاجزاً هكذا، أو ان يعاني من هذا المزاج المتقلب، والانفجار بغضب شديد وعنيف دون أي سابق انذار. مع ذلك كله كانت تعرف انه يحبها.

فوعدته قائلة: «لن اذهب.»

قال لها: «لن أفعل هذا ثانية، أبداً.» وتمنت في قرارة نفسها لو أنها تستطيع تصديقه. أوه، انه يعني ذلك فعلاً الآن في هذه الدقيقة، ولقد كان صادقاً عدة مرات من قبل عندما وعدها هذا الوعد نفسه، بالرغم من انه لم يتصرف قط بهذا العنف من قبل.

غير انه كان على الأقل نادماً كفاية ليستمع لِمَ تقوله الآن، لذا كررت ما سبق وقالته، فقالت: «داني، ليس هناك أي شيء بيني وبين فيليب هالكوم، أقسم لك، لكن الأمر سيان. سأقدم استقالتي نهار الاثنين.»

أجابها: «لا، لن تفعلي.» نظرت اليه غير مصدقة وعيناها جاحظتان، إلا انه أضاف قائلاً: «انني اصدقك، يا جنيفر، بالطبع ليس هناك من شيء بينك وبين رئيسك، انها غيرتي المجنونة فقط. أعدك أن أكون مختلفاً من الآن وصاعداً ولن أدع ذلك يحدث مرة ثانية أبداً.»

فيما بعد، عندما رأت انعكاس صورة وجهها في مرآة غرفة الحمام صدمت، فقد كان وجهها ازرق جداً، وجنتها، وحول عينها وفمها. كان منظرها يبدو مريعاً، الليلة الماضية لم تدرك كم ضربها داني بعنف، فلا عجب انه صُدم عندما دخل إلى الغرفة وهو يحمل صينية الشاي والخبز المحمص.

ربما هذا سيخرجه أخيراً من هذه الدائرة الخطرة من تقلب مزاجه؟ أغمضت جنيفر عينيها وهي تتمنى أن يعود داني الذي عرفته، أحبته وتزوجته.

عندما ذهبت يوم الاثنين إلى العمل نظر إليها زملائها كلّ

بدوره متسائلاً: «جنيفر، ما هذه الرضوض على وجهك؟»

كانت قد أعدت مسبقاً قصة لذلك فكانت تجيب: «لقد تعثرت وأنا أنزل الدرج. إنني محظوظة لأني لم أصب بأي كسر.»

بدت غير مبالية، وكانت تضحك مما جعل الجميع يصدقونها. أما فيليب فكان لديه عمل في الخارج، وعندما عاد كانت هي على وشك المغادرة إلى المنزل.

نسيت جنيفر آثار الكدمات التي كانت واضحة على وجهها، ونظرت بدهشة عندما فُتح باب مكتبها وظهر هو أمامها.

كان يبتسم، إلا ان الابتسامة ماتت على شفتيه عندما رأى وجهها. فصاح مقطباً حاجبيه قائلاً: «اوه! ما هذا؟»

عندها تذكرت، فرفعت يدها إلى وجنتها لتخفيها، وعضت على شفتها، وقالت: «آه... أنا...» إلا انها نسيت للحظة الكذبة التي لفقتها لكل من سألها عما بها. وبتلعثم استطاعت أخيراً أن تقول: «لقد سقطت على الدرج. انها ليست بالأمر الخطير كما تبدو.»

تقدم فيليب نحو طاولة مكتبها، فجفلت واستطاعت أن ترى بريق عينيه عندما لاحظ تلك الحركة الصغيرة التي خانتها.

قال: «حسناً، انها تبدو مريعة!» وأخذ يتأمل وجنتها.

سألها فيليب بفظاظة: «هل رأيت طبيباً؟»

أجابته: «لا، بالطبع، لم أفعل، فالأمر ليس خطيراً.»

فصاح قائلاً: «اعتقد انه خطيراً.»

قالت: «لقد حصل هذا منذ يومين! فلو ان بي أمراً خطيراً لكنت لاحظت ذلك!»

فردد قائلاً: «منذ يومين؟ مساء يوم الجمعة؟»

أجابته: «نعم.» متمنية أن لا ينظر اليها، فقد كانت تشعر وكأنها تحت نور كشاف، ولم يكن هناك مكان لتختبيء فيه، أو طريقة لتخفي عنه ما كانت تشعر به.

سألها: «عندما عدت للمنزل بعد ان عملنا لوقت متأخر؟»

وقع السؤال في نفسها وكأنه مصيبة فجائية اتقدت احمراراً فيما ادركت انه اكتشف ما حدث فعلاً.

فردت بسرعة وبانفعال قائلة: «كنت في طريقي إلى المنزل، عندما نزلت من السيارة تعثرت، صدمت رأسي بالحائط.»

فذكرها بجفاف قائلاً: «لقد سبق وقلت انك سقطت على الدرج فأي منهما هي الحقيقة؟»

فصرخت في وجهه بامتعاض قائلة: «ما هذا؟ تحقيق؟»

جلس على حافة طاولة مكتبها وأخذ ينظر اليها بدقة، ثم قال: «ألم يحن الوقت لتتحدثي عن الأمر، يا جنيفر؟ ما الذي يجري؟ ولا تهيني ذكائي بقولك لي ان ليس هناك أي شيء... كلانا نعرف ان هذا غير صحيح. أنت لست سعيدة، فهناك شيء ما ليس على ما يرام اطلاقاً في زواجك. وها أنت الآن بدأت تأتين إلى العمل وعلى وجهك آثار كدمات؟ قد يريحك ان تتحدثي عن الأمر.»

قالت له: «لا، لن يريحني ذلك، لن يريحني اطلاقاً. أرجوك لا أود التحدث في هذا الأمر يا سيد هالكوم، فحياتي الخاصة لا شأن لك بها.»

أجابها بوجه متجهم: «ربما أنا أريد التدخل بها.»

أجابته بلهجة هادئة باردة: «في تلك الحالة علي أن أستقيل.»

لمعت عيناه وخشيت للحظة انه لن يقبل الانذار، إلا انه نهض بعد ذلك وذهب دون أن ينبث بكلمة أخرى.

عندما عادت إلى المنزل ذلك المساء، أخبرها داني ان شركته سترسله لدراسة تدريبية في مانشستر لمدة اسبوع. وقد كان حافز تغيير الروتين في حياته أمراً جيداً له. وهكذا أمضى بقية الاسبوع أكثر ابتهاجاً. غادر ليل يوم الأحد ونامت جنيفر جيداً لأول مرة منذ شهور.

كانت الأيام القليلة التالية أكثر الأيام التي عاشتها جنيفر راحة منذ الحادث. شعرت انها أصغر سناً، أكثر رشاقة، وخامرها احساس بالحرية في كل ما تفعله، حيث لم يكن عليها أن تكون حذرة دائماً خشية أن ينقلب مزاج داني إلى سيء فجأة. وقد ساعدها أيضاً غياب فيليب عن المكتب ذلك الاسبوع حيث كان يعمل في موقع مشروعه الأخير.

إلا ان يوم الخميس وقد كان يوماً حاراً جداً من أيام تموز (يوليو)، رنّ جرس الهاتف فرفعت جنيفر السماعة لتسمع صوت فيليب يقول لها: «جنيفر، هلا بحثت في مكتبي ورأيت ان كنت قد نسيت حقيبتي السوداء هناك؟ سأنتظر على الخط، لكن اسرعي.»

فوضعت سماعة الهاتف وأسرعت إلى المكتب الملاصق لمكتبها. كانت تعرف الحقيبة السوداء التي يريدها، فهو كان يحملها أينما ذهب عندما يكون في جولة على مواقع مشاريعه، أو عندما يكون لديه اجتماع عمل خارج المكتب.

لم تكن الحقيبة على طاولة المكتب أو على الأرض، لذا أخذت تبحث في خزانة الحائط حيث يبقي خرائطه الكبيرة مخططات المواقع، المراجل والكاميرات، ومعدات بناء أخرى. وجدت الحقيبة هناك، كانت مفتوحة وكأنه كان يضع فيها الخرائط ثم نسي ان يأخذها معه.

عادت إلى الهاتف بسرعة وهي تحملها وأخبرت فيليب انها وجدتها. فتأوه قائلاً: «حسناً. اني بحاجة ماسة اليها، وسيتطلب مني الكثير من الوقت كي اذهب واحضرها ثم أعود، أرجو أن تحضريها إلي. سيارتك الخاصة معك، أليس كذلك يا جنيفر؟»

«أجل، لكن ماذا عن المكتب؟»

«أحضري بيتال لتجيب على المكالمات الهاتفية خلال غيابك، ثم تعالي إلى هنا، واحضري معك الحقيبة. اني في طريق غرين مان الفرعية، أي تقاطع ٤٣ بعيداً عن الطريق العام، اتبعي طريق هيلهيث، فانها ستقودك مباشرة إلى هنا. أنا هنا مع تيد وهو سيأخذني بالطائرة المروحية بعد الظهر لأرى مسار الطريق الجديد. لكن يجب أن تكون خرائط الجو تلك معنا وإلا فاننا، أنا وتيد، نضيع وقتنا فقط. يمكنك الوصول إلى هنا عند الواحدة ان غادرت حالاً.»

وأقفل الخط وفعلت هي الأمر عينه، وهي تتنهد، إذ كان لديها الكثير من العمل لتقوم به وهي تعرف ان بيتال ليست مؤهلة للقيام بأي منه.

إلا انها اطفأت جهاز الكومبيوتر ووضعت الوثائق المؤتمنة عليها في خزانة الملفات واقفلتها، ثم التقطت الحقيبة واتجهت إلى مكتب عبر الردهة حيث تتم تسوية

شؤون الموظفين. كان المكتب يضم ثلاثة موظفين، لكن هذا الصباح لم يكن هناك سوى موظف واحد موجود، لا بد ان الموظفين الآخرين كانا في مكاتب أخرى.

كانت بيتال تعد القهوة فيما هي تطبع رزمة من الرسائل لموظفي البناء تتعلق ببعض الأمور النقابية. وكانت ادارتها لمكتب شؤون الموظفين عملاً يومياً روتينياً. كانت بيتال امرأة تناهز الاربعين من العمر. كان اسمها الحقيقي روز، إلا انها كانت تعتقد انه اسم قديم العهد، وبما ان زوجها يتمتع بحس فكاهة كبير، فكان يدعوها بيتال، وهكذا اعتاد الجميع أن ينادونها هكذا أيضاً. وما أن دخلت جنيفر الغرفة حتى سألتها بابتهاج: «مرحباً، يا جنيفر أتريدين فنجاناً من القهوة؟ لقد أحضرت معي اليوم البسكويت بالشوكولا المفضل لديك.»

قالت جنيفر: «ليس لدي وقت لذلك.» ثم شرحت لبيتال ان عليها أن تتلقى المكالمات الهاتفية في مكتب فيليب هالكوم.

قالت بيتال: «أوه، أنا؟» وبدت مذعورة. كانت بيتال رغم استعدادها للعمل إلا انها لم تكن سريعة البديهة تماماً وفيليب هالكوم كان يجعلها مضطربة. ثم أضافت: «أعلي ذلك؟ إنني أخلط الأمور ببعضها عندما أعمل معه ثم يأتي ويعنفني. ألا يستطيع شخص آخر القيام بذلك؟»

أجابتها جنيفر وهي تهز رأسها: «آسفة، يا بيتال.» إذ أن فيليب هالكوم كان قد اختارها هي من بين كل الموظفات الأخريات، وما عليها سوف ان تنفذ ما طلب...

سألتها بيتال: «متى ستعودين؟»

أجابت جنيفر: «ليس لدي فكرة، ولكنني لا اتوقع ذلك قبل ساعتين على الأقل. فقط عليك تلقي الاتصالات وقولي بأنني سأعاود الاتصال لمن يحتاج إلى رد سريع.»

بعد عشر دقائق كانت جنيفر تتجه نحو الطريق الرئيسي، وحقيبة فيليب في صندوق سيارتها. كانت مسرورة لمغادرتها المكتب، إذ أن الطقس كان حاراً جداً، ما يصعب معه العمل في داخل المكاتب.

وصلت إلى موقف سيارات تابع للفندق، بعد مواجهتها لأزمة سير خفيفة، ولم تر أثر لفيليب بالرغم من أن سيارته كانت متوقفة في مكان قريب. وفكرت بأنه لا بد وأن يكون في مطعم الفندق يتناول طعام الغداء مع تيد، طيار الطائرة المروحية التابعة للشركة.

اتجهت جنيفر إلى غرفة الحمام أولاً، وتأملت بحزن انعكاس صورتها في المرآة.

وبعد دقيقتين كانت تقف عند باب المطعم وهي تجول بعينيها في أرجاء المكان، وعلى الفور رأت فيليب. كان يجلس قبالتها إلى طاولة متميزة في ركن منفرد، رآها فرفع يده وأومأ لها لتأتي إليه.

سارت نحوه لتنضم إليه والرجل الذي برفقته، وهي منتبهة تماماً إلى عيني فيليب القاسيتين اللتين كانتا تنظران إليها فيما هي تتقدم نحو الطاولة.

شعرت جنيفر باضطراب عندئذ، فقد كان رجلاً يبعث الارتباك في النفس، وتمنت لو بإمكانها تجاهلها إلا أنه كان يصعب ذلك.

ابتسم لها تيد هوبسن ابتسامة عريضة وقال: «أهلاً بك، يا جنيفر.» كان تيد رجلاً في الثلاثينات من العمر.

لقد سبق لها والتقته في المكتب مرات عدة، كان يأخذ فيليب بالطائرة المروحية ذهاباً وإياباً، من موقع إلى آخر، في حال كانت هذه المواقع بعيدة عن بعضها البعض ومن الصعب التنقل بينها بواسطة السيارة.

ابتسمت له بخجل وقالت: «مرحباً، يا تيد. كيف حال ماغن؟»

لمعت عيناه وقال: «بخير شكراً. انها على وشك الولادة خلال أيام، ونأمل أن يكون المولود طفلة.»

ابتسمت جنيفر وقالت: «لكن ماغن ستحبه أياً يكن نوعه!»

ابتسم تيد ابتسامة عريضة، وأومأ برأسه قائلاً:

«آه، بالطبع. ما ان يولد حتى تشعر بالسعادة مهما يكن، فماغن تحب الأطفال بشكل جنوني.»

كانت مايغن وتيد قد قاما بدعوة جنيفر وداني إلى سهرة في منزلهما بعدما بدأت جنيفر عملها في الشركة بوقت قصير بالاضافة إلى بعض زملائها، وذلك للتعارف بين بعضهم البعض عن كثب. وفي تلك السهرة، انقلب مزاج داني ليصبح حاداً وعنيفاً، وأخذ يصرخ بوجه جنيفر ودفعها عنه بفظاظة، الأمر الذي أحرجها أمام المدعوين. إلا ان مايغن، كانت رائعة بتصرفاتها، فقد وقفت إلى جانبهما واقتربت من داني وسألته: «هل بإمكاننا التحدث معاً على انفراد؟»

نظر اليها وقال متلعثماً: «بالتأكيد يا مايغ... مايغن! أحب أن اتكلم معك على انفراد.»

وأخذت تدور به حول الغرفة وهدفها أن توصله إلى الباب، وتبعتهما جنيفر محاولة أن تتحاشى نظرات السخرية أو العطف التي كانت تصلها من المدعوين الآخرين. وخارج الردهة كان داني يجلس على وسط السلالم، متكأ إلى الحائط وكانت عيناه تبدوان كالزجاج.

قالت له مايغن برقة: «ها هي جنيفر لتأخذك إلى المنزل، انهض، يا لك من ولد طيب.»

وساعدتاه معاً لينهض على قدميه وسارتا به إلى أن أوصلاه إلى داخل السيارة.

ثم سألتها مايغن: «هل يمكنك تدبر الجزء الباقي؟ هل تريدنني أن أرافقك إلى المنزل؟» فهزت جنيفر رأسها وقد اتقدت احمراراً. واجابتها: «لا. شكراً لك. لا ادري ما الذي يصيبه في بعض الأحيان. إنني آسفة، فقد أفسدنا السهرة.»

فأجابتها: «لم تفعلا. لا تكوني سخيفة. انني اتفهم وضعه الصحي بعد الحادث الذي علمت به عنه، انسي الأمر برمته. والآن قودي بانتباه.» ثم نظرت إلى داخل السيارة وضحكت فيما أضافت: «انظري، انه هادىء الآن، وما ان تصلي إلى المنزل حتى يكون أهدأ وأكثر اتزاناً.»

ومنذ تلك الليلة وجنيفر تعتبر مايغن صديقة، وقد التقيتا لتناول طعام الغداء معاً عدة مرات عندما كان تيد يرافق فيليب هالكوم إلى مكان ناء في بريطانيا.

ولقد رزقت مايغن وتيد بثلاثة فتيان جميعهم في المدرسة الآن، والطفل الذي تحمله سيكون، كما قالت آخر طفل ستنجبه، ولو انها لم تكن تتوق لأن يكون عندها فتاة لما فكرت في الانجاب هذه المرة على الاطلاق.

كانت أماً حنوناً ومحبة، وكان واضحاً انها وتيد سعيدين جداً معاً. حسدت جنيفر مايغن على حياتها، اذ انها حققت معظم ما تمنته، ولكن جنيفر لم تحقق شيئاً من احلامها.

أخذ فيليب الحقيبة منها وأومأ إلى كرسي ثالث وضع إلى الطاولة قائلاً: «اجلسي وتناولي طعام الغداء، فاننا لم نطلب غداءنا بعد.»

ترددت ثم سألته: «ألا يجب أن أعود إلى المكتب؟»

«اجلسي ولا تجادلي!»

غمزها تيد، فجلست جنيفر وأمسكت بلائحة الطعام. وما ان قَدِم النادل إلى الطاولة، حتى بدأ الرجلان في الحال يطلبان ما يريدانه للغداء، كلاهما كان يريدان بطيخاً ثم يتبعه بفتاك وطلبت جنيفر بطيخاً أيضاً وقريدس وسلطة جبنة حلوم.

وعندما قدم النادل لفيليب لائحة بأنواع الشراب هزّ رأسه وقال: «أنا لا أريد أي شراب.» ثم أضاف: «ماذا تودين أن تشربي، يا جنيفر؟»

طلبت مياهاً معدنية، وغادر النادل. فنظر تيد اليها وقال: «الا تشعرين بالحرّ بهذه السترة التي ترتدينها يا جنيفر؟»

أجابته: «لا، انني بخير...»

فقاطعها فيليب قائلاً بطريقته الحازمة المقتضبة: «أجل، اخلعيها.» فخلعتها ووضعتها فوق مؤخرة كرسيها.

سألها تيد: «ألا تشعرين أفضل هكذا؟»

فأومأت جنيفر برأسها فيما نبضها يتسارع بقوة، وفي

تلك اللحظة وصل النادل حاملاً المياه المعدنية والبطيخ الذي طلبوه جميعهم. كان مرتباً بشكل جميل جداً، ومقطع قطع رقيقة على شكل مروحة وحبوب الفريز منثورة حولها، ووضعت قطعة من فاكهة على شكل نجمة عند الطرف الأعلى.

فسألت جنيفر بصوت أجش: «أليس هذا جميلاً؟»

فأجابها تيد متذمراً: «لا أحب أن يكون طعامي جميلاً، فان ذلك يجعلني أتساءل ان كان من المفترض بي أن آكله أو أن أضعه ضمن اطار واعلقه على الحائط!»

تظاهرت جنيفر بالضحك واختفت نظرات عينيها نحو صحنها، وتناولت حبة فريز لتضع في فمها وخلسة، تحت غطاء انها تأكل نظرت إلى فيليب نظرات سرية مضطربة جانبية، وتساءلت هل لاحظ ما حدث لها؟ انها تود لو تموت ان فعل. أوه، كم إن ذلك مخز، فهي لا تستطيع تفسير ذلك حتى، ولا يمكنها اخباره ان ذلك لا يعني أي شيء.

وتساءلت لماذا انتابها ذلك الشعور الآن، فهي ليست معجبة به حتى! انه يحملها على الاضطراب ويجعلها تجفل.

كانت متأكدة من انه شعر بشيء هو أيضاً، فقد أنبأها حدسها بذلك. عرفت ذلك عندما نظرت إلى عينيه الكئيبتين. لقد أحس بشيء ما...

ذكرت نفسها بقوة، أنت متزوجة! ومهما فعل لك داني فأنت ما تزالين زوجته، وهو يحبك حتى عندما يتصرف وكأنه يكرهك. جعلها الألم تعود من أفكارها بسهولة.

كان فيليب ينظر متجهماً إلى خارطة أخرجها من حقيبته ولم يكن قد لمس طعامه بعد.

أبعدت جنيفر عنه نظراتها، وأمرت نفسها بغضب، يجب أن تتوقف عن هذا! بأن تتوقف عن ملاحظة كل شيء يفعله!

ثم فكرت بحزن أوه، يا داني ما الذي حدث لنا؟ وتذكرت كم كانا يحبان بعضهما وعلاقتهما الجيدة فيما مضى.

وأخذت تحرك قطع البطيخ الرقيقة في صحنها، ثم أرغمت نفسها على الأكل، انه لطعام رائع ليوم حار كهذا اليوم. ربما انه الطقس الذي جعلها تتصرف بغرابة هكذا، ان تتصرف وكأنها ليست هي نفسها؟

بدأ فيليب يتكلم مع تيد، ونشر الخارطة المفتوحة على الطاولة بينهما، وأشار إلى نقطة، ثم أمسك بالشوكة وتناول قطعة من البطيخ فيما كان تيد يدرس الخارطة.

سألها تيد: «هل سبق وركبت طائرة مروحية؟» هزت جنيفر رأسها نفياً. فاقترح قائلاً: «حسناً، تعالي معنا اليوم.»

فقال فيليب: «فكرة جيدة، حان الوقت لتدركي كم ان الابعاد الجوية حيوية للتخطيط، يا جنيفر، فرؤية موقع على الخارطة أو حتى على الأرض لا يعطيك صورة واضحة، لكن الطيران فوقه يجعلك تلاحظين انك لا تعرفين كم يفوتك إلا حين ترينه من الجو.»

فاعترضت قائلة: «علي أن أعود إلى المكتب.»

فأجابها: «هراء. تستطيع بيتال الاهتمام بالمكتب لبعد ظهر يوم واحد.»

أحضر النادل طلبهم الثاني، فتناولت جنيفر بعضاً من السلطة التي طلبتها، وهي تحاول أن تفكر في طريقة

تحول دون ذهابها في الطائرة المروحية معهما، لكن فيليب كان كالبلدوزر ان صمم على شيء لا يحيد عنه أو يتوقف.

وبعد نصف ساعة وجدت جنيفر نفسها تعبر حقلاً من التبن باتجاه الطائرة المروحية التي تنتظرهم.

قال فيليب: «اصعدي!» وأخذ تيد يشرح لها كيفية وضع الحزام حول خصرها في المقعد واعطاها سماعة لتضعها على أذنيها، كي تبقي صوت الضجيج بعيداً عنها، وصعد فيليب بجهد إلى جانبهما، ثم أقفل الباب. نظرت جنيفر نحو المراوح التي تدور بسرعة كبيرة وقد ذهلت للسرعة التي تدور بها، وبدأت الطائرة ترتفع. نظرت جنيفر إلى الأسفل لترى ظلهم الأسود يطير عبر الأرض تحتهم.

أومأ فيليب إلى الأسفل فيما قال: «عبر تلك المرتفعات، حيث اشجار الحور... هناك الطريق.»

كانت الطريق تجري تحتهم، حقولاً، وتلالاً وأشجاراً في مثال رائع من الضوء والظل واللون. شعرت جنيفر انها تستطيع تمضية بقية حياتها وهي تطير فوقها. لم تدهش بشيء في حياتها كدهشتها بهذا المنظر. نشر فيليب الخارطة أمامهم، وأشار إلى مسارهم بيده فأخذت تجول بنظراتها ما بين الخارطة والأراضي المنبسطة تحت نظرها، فتربط ما بينها وتفهم علاقتها ببعضها ما جعلها تتأثر كثيراً.

قالت: «انها رائعة!» وهي ترفع بصرها إلى وجه فيليب، فابتسم لها وأومأ برأسه.

في تلك اللحظة تغيّر صوت المحرك، وبدأ يعطي صوتاً

مختنقاً فانزعج فيليب ونظر إلى تيد. كان تيد ينظر إلى آلات على اللوحة فيما يحرك يديه مجرياً عليها نوعاً من الفحص. جلست جنيفر بسكون وقد أدركت ان هناك خطب ما.

سأل فيليب بهدوء: «ما الأمر، يا تيد؟»

نظر اليه تيد نظرة جانبية وقال: «اعتقد من الأفضل أن نهبط. ذلك الحقل الذي تحتنا يفي بالغرض، انه منبسط جداً، تمسكا جيداً واجلسا بهدوء ولا تلمسا شيئاً.»

كانت سرعتهم في الهبوط أكثر مما كانت خلال التحليق، وكانوا يهبطون بطريقة غريبة، بحركات دائرية غير منتظمة، مع انحدار جانبي.

وادركت جنيفر ان الطائرة ستتأذى عند هبوطها.

قال لها فيليب على عجل: «اسمعي، ابقي حزام مقعدك مشدوداً حتى... حتى نهبط، لكن عندما نهبط فكي الحزام واقفزي إلى الخارج واركضي... لا تنتظري أحداً...»

انهم على الأرجح سيقتلون جميعاً، ذلك ما أوحت به كلماته، لكنه خاف ان يخبرها الحقيقة لئلا أصيبت بالذعر وانتابتها نوبة بكاء لا سبيل إلى كبحها.

قالت: «حسناً.»

نظر اليها فيليب بغرابة وقال بتجهم: «هل فهمتي؟»

أجابته: «أجل.» لم تكن خائفة من الموت فالحياة لم تكن بالنسبة لها رائعة، والطيران فوق الأراضي الخضراء والذهبية الألوان جعلها تتعرف إلى جمال ما زال يعيش في داخلها الآن، وقد سَهل ذلك عليها بطريقة أو بأخرى توقع الموت، وعندما فكرت في الألم والبشاعة اللتين انطوت

عليهما حياتها في بعض الأوقات، بدا لها الموت بديلاً أفضل.

أطلق فيليب صوتاً وكأنه تأوه وقال: «انك مدهشة. هل تدركين الحقيقة؟»

أجابته ضاحكة: «أهناك شيء؟»

عندها صاح تيد: «جهزوا أنفسكم، في أية لحظة الآن.»

وبعد ذلك ارتطمت الطائرة المروحية بالأرض وللحظة لم تعرف جنيفر ما كان يجري، فقد اصطدمت الطائرة، اهتزت، ارتدت، اندفعت وانزلقت فيما هي والرجلين كانوا يتأرجحون لهذه الناحية وتلك، وانتهت الطائرة المروحية إلى سياج عند زاوية بدت منها السماء تنحدر بجنون فوقهم.

صرخ فيليب: «اخرجي!» ويداه تحاولان فك حزام مقعدها فساعدته في القيام بذلك. وبعد لحظات قليلة دفعها من الباب إلى الخارج فانزلقت قليلاً وسقطت نوعاً ما إلى الأرض. حطوا في حقل للقمح وسحقوا السنابل الطويلة الذهبية.

«انهضي واركضي!» صرخ بها فيليب فيما كان يزحف للخروج بعدها فيما تيد يتبعه، فأطاعته دون تفكير.

وبأنفاس شبه مقطوعة سألت: «لماذا نركض؟» لكن ما من أحد من الرجلين أجابها، فلم يكونا بحاجة لذلك، اذ بعد لحظة سُمعت جلبة صاخبة وهدير ثم انفجرت الطائرة المروحية. الأمر الذي جعل الرياح بعد الانفجار تهب باتجاههم بموجة من الحرارة أوقعت جنيفر فسقطت على وجهها بين سنابل القمح التي جعلت انفها يرتعش

لرائحتها، أما خدوش السنابل على بشرتها فقد كانت تجربة حادة.

سألها فيليب بقلق كبير: «جنيفر. هل أنت بخير؟»

نظرت إليه وقد ارتسمت على شفتها ابتسامة سعادة، فهي لم تشعر انها على قيد الحياة بهذه القوة من قبل، كما لم تشعر بجمال هذه الدنيا أيضاً.

نظر فيليب إلى عينيها، وكان وجهه شاحباً وقد ارتسمت عليه امارات القلق وهمس قائلاً: «أوه، يا جنيفر، خشيت أن تكوني قد فقدت الحياة، كنت مرتعباً.»

شعرت وكأن صاعقة اصابتها فقبل لحظة كانت تضحك سعيدة لأنها ما زالت على قيد الحياة وفي اللحظة التالية كانت تضطرب لاهتمامه بها وللحنان الذي غمرها به.

استدارت بسرعة لتبتعد إلا انها تجمدت في مكانها وقد اتسعت عيناها من شدة الذهول. رأى فيليب الذي كان يقف وراءها ما رأته، وسمعت صوت أنفاسه الثقيل.

كان تيد ملقىً على وجهه دون حراك على بعد عدة أقدام منهما.

الفصل الثالث

ركض فيليب وانحنى بجانب تيد، وهو يردد اسمه: «تيد... تيد. هل انت بخير؟» ثم قلبه برقة وسمعت جنيفر شهقته وصدمت عندما رأت الدماء على وجه تيد. لم تر دماء على وجهه عندما نزلوا من الطائرة المروحية. كانت هناك كدمات واضحة على وجهه ولا شك انها نتيجة لهبوطهم الساحق، عندما رموا انفسهم بقوة قبل ان تتوقف الطائرة اخيراً، لكن حينها لم يكن هناك أي أثر للدماء.

قال فيليب بتمهل: «لقد ارتطم بشيء ما... ربما قطعة حديد من الطائرة المروحية عندما انفجرت، لا بد ان شظايا منها انتشرت في الهواء كشظايا قنبلة.»

ادارت رأسها ونظرت بخوف شديد نحو الطائرة المروحية المشتعلة. كانت ألسنة النار ترتفع نحو السماء وقد امتدت نحو حقل القمح، فشهقت قائلة: «علينا جميعاً ان نبتعد من هنا!»

فاستدار فيليب ونظر في الاتجاه الذي تشير إليه باصبعها وقد ازداد القلق في عينيه عندما ادرك ما قصدته بكلماتها، فتمتم قائلاً: «اعتقد ان تحريك تيد خطر عليه!» ووضع اصبعه على عنق تيد ليتحسس نبضه.

قالت جنيفر: «واي خيار امامنا؟» فيما كانت تنظر إلى النيران، لترى القمح الجاف يشتعل بقوة، يثير الرعب للسرعة التي تجتاحها التي تسير وتنتشر بها النيران. ملأت

رائحة الحريق الهواء، وارتفع عامود من الدخان الاسود نحو السماء.

فكر فيليب بصوت عال: «لا بد ان احداً سيرى ذلك. يبدو لي ان قلب تيد بخير، لكن علينا ان نوصله إلى طبيب بسرعة...» ثم وقف، متجهم الوجه، اخذ يتلفظ بكلمات بذيئة ما جعل جنيفر تجفل. نظر اليها نظرة غاضبة وقال: «آسف، انني لا اتلفظ عادة بكلام بذيء امام السيدات، لكنني لاحظت الآن ان الخرائط بقيت كلها في الطائرة، وهكذا فاني لا استطيع تحديد المكان الذي نحن فيه بالضبط. لقد استطلعت المنطقة جيداً فيما كنا نهبط. هناك طريق عام في الجانب الآخر بعد حقلين، وقد رأيت قرية على بعد بضعة اميال، لكن لا أعلم أين توجد اقرب مستشفى!» ومرّر يده بيأس في شعره مضيفاً: «اوه، لماذا حدث لنا هذا؟»

كان صوت زمجرة وتأجج النيران يجعل جنيفر خائفة جداً، فصاحت قائلة: «يجب ان نبتعد من هنا، يا فيليب!»

أومأ برأسه ايجاباً، ثم سار نحو سياج الحقل وألقى نظرة من فوقه، ثم همهم بصوت خافت وقال: «اننا محظوظون، إذ يوجد خندق فيه ماء حتى نصفه هنا عند هذه الناحية من السياج، وذلك سيكون كحد طبيعي للنار، طالما ان الشرارات لا تتطاير عبر السياج. على الأقل سيؤخر هذا انتشار النيران.» واستدار لينظر نحو الطائرة المروحية المشتعلة قبل ان يضيف قائلاً: «ان النيران تتجه بعيداً عنا الآن. انظري. راقبي الطريقة التي تنحني بها سنابل القمح، ذلك يعني ان أي نسيم يهب فسيكون في ذلك الاتجاه. حسناً، انا سأمسك بكتفي تيد وانت امسكي بقدميه

لنحمله إلى الحقل المجاور، ومن ثم سأحاول ان احضر مساعدة، لكن لا يسعنا ان نترك تيد لوحده.»

قالت: «لا. بالطبع لا. سأبقى انا معه.» وامسكت بقدمي تيد فيما كان فيليب يرفعه من كتفيه.

سألها: «امتأكدة انك لن تخافي؟»

«متأكدة.»

جالت عيناه في وجهها ثانية، فابتسمت له ابتسامة باهتة واومأت برأسها ثم قالت: «لا تقلق بشأني، سأقوى على ذلك.»

ابتسم لها فيليب ابتسامة تنطوي على مرارة في النفس وقال: «انني متأكد انك ستتمكنين. حسناً، لكن اصغي الي. ان استعاد وعيه حاولي ان تبقيه مستيقظاً، كلميه، اخبريه إلى اين ذهبت، قولي له أي شيء لتثيري انتباهه وتمنعينه من فقدان وعيه ثانية.»

قالت: «فهمت.» وتحركت بانتباه كي لا تهز تيد كثيراً فيما كانت تمسكه بمهارة لتتمكن من اخراجه عبر البوابة المفتوحة.

رفس فيليب البوابة خلفهما ليقفلها، ثم قال: «سنحمله إلى أبعد مسافة ممكنة حول هذا الحقل. اسمعي ياجنيفر، سيكون من الافضل لو تذهبي انت وابقى انا مع تيد، عندها على الاقل استطيع ان احمله على كتفي إلى الطريق.»

نظرت إلى الوراء، وقالت: «النار مازالت تتجه بعيداً عنا.»

فتجهم فيليب وقال: «حسناً.» توقفا وهما يتنفسان بثقل، ثم انزل فيليب تيد إلى الأرض واضاف: «ستكونان

بخير هنا، فالنيران ستحتاج إلى وقت طويل جداً للوصول إلى هنا.» ثم نظر إلى وجهها وسألها: «امتأكدة انك ستكونين بخير؟»

أومأت برأسها وقالت: «فقط اسرع يا فيليب!»

فوعدها قائلاً: «سأوقف سيارة واعود مع السائق بسرعة.» ثم اخذ يركض، وكان يتنقل بسرعة عبر الحقل باتجاه الطريق العام.

راقبته جنيفر فيما شعرت بالغربة القاسية، وكان قلبها يخفق بسرعة كبيرة جداً وشعرت وكأنها كريشة تطير. لم تكن حالتها تلك ناتجة عن تأثير الحادث وانفجار الطائرة، أو عن النيران التي تتأجج الآن عبر الحقل الذي غادروه للتو، لقد كانت مؤشراً لشيء اكثر ازعاجاً، صدمة يمكن ان يكون لها فيما بعد تأثيرات خطيرة.

أدركت فجأة ان عليها التوقف عن العمل عند فيليب هالكوم، عليها الابتعاد عنه وان لم تفعل ذلك حالاً فستواجه خطر الوقوع في حبه، وكانت تخشى كثيراً من ان يكون فيليب مهتماً بها.

قد يكون زواجها يمر بمشاكل خطيرة، وقد يكون حبها لداني اقل اتقادا عن ذي قبل، إلا انه زوجها ومازالت تحبه. وكانت تعرف انه يحبها هو أيضاً، حتى عندما كان يفقد رشده ويضربها، فان الشعور الذي بينهما جذوره عميقة، ويعود لسنوات عديدة خلت، حيث كان اكثر من زوج بالنسبة لها، فقد كان الأخ والصديق الافضل، وكل عائلتها، تماماً كما كانت هي كل عائلته. ورغم كل الألم والمرارة التي مرت بهما خلال السنتين الماضيتين فقداستطاعا

الاستمرار بزواجهما، وليس لديها نية في ان تتخلى عنه.

تناهى إلى سمعها تأوه فجفلت ونظرت نحو تيد. كان يحرك يده باتجاه رأسه، وقال: «ماذا هناك...؟»

قاطعته جنيفر قائلة: «إبقى هادئاً، يا تيد. لا تتحرك، لقد ذهب فيليب ليأتي بمساعدة، ولن يغيب طويلاً.»

سألها تيد: «ماذا حدث؟» ثم وقبل ان تتمكن من الاجابة قال: «الطائرة المروحية! تذكرت... لقد تحطمت، اليس كذلك... هل انفجرت ام يتهيأ لي ذلك؟»

اجابته: «لقد انفجرت وسقطنا جميعنا أرضاً ويبدو ان قطعة من الحديد المتطاير قد اصابتك، لكن فيليب تفحصك وقال ان الأمر ليس خطيراً.»

قال: «لقد أمضى دورة في الاسعافات الأولية، لذا فلديه فكرة كافية للتصرف في مواجهة أمور كهذه. اذاً، فهذا ما يتسبب لي بهذا الصداع، اشعر وكأن أجراساً تقرع في رأسي افترض انك لا تملكين حبوب اسبيرين معك، أليس كذلك؟»

اجابته جنيفر: «آسفة يا تيد. يجب ان لا تتناول أي دواء قبل ان يكشف عليك الطبيب. فيليب سيأتي بطبيب إلى هنا بأسرع ما يمكنه.»

قطب تيد جبينه، ومدّ يده ليضعها على رأسه من جديد، ثم نظر إلى اصابعه وقال بتأوه: «أوه... دماء... انني اكره منظر الدماء خاصة دمائي، فمنظرها يجعلني اشعر بالضعف.»

حاول ان يرفع رأسه إلا ان جنيفر قالت له بسرعة: «لا تتحرك يا تيد. يجب ان تبقى هادئاً.»

www.elromancia.com

قال: «اردت ان أرى فقط... هل اصبحت طائرتي المروحية خردة؟»

أومأت له برأسها، فبدا حزيناً وقال: «آه! لقد احببت تلك الآلة.»

فواسته قائلة: «ستحصل على واحدة اخرى.»

فقال: «لن تكون مماثلة لها.» وسعل، ثم تجهم وجهه، ولمعت عيناه. حاول من جديد ان يجلس وقال: «دخان... جنيفر، من اين يأتي ذلك الدخان الاسود؟ امازالت الطائرة المروحية تحترق؟»

فاستهلت كلامها لتجيبه قائلة: «امسكت النيران بسنابل القمح...» الا انها توقفت عندما اغمض تيد عينيه واخذت تصرخ به: «تيد، لا تفقد وعيك من جديد... كلمني...»

فسعل ثانية وفتح عينيه، ثم قال: «ساعديني على النهوض، يا جنيفر! لن ابقى هنا حتى اشوى.»

نظرت إلى الوراء من فوق كتفها فرأت الدخان الاسود يتصاعد. لقد تغير اتجاه النار واصبحت تنتشر باتجاههما، فانتابها الخوف، أما تيد فقد جاهد للوقوف على قدميه فقالت له: «اتكأ علي! اني اقوى مما ابدو، فأنا استطيع ان اتحمل.»

استطاعا ان يسيرا مع الحائط مبتعدين عن النار المتأججة، وقد بقيا على مقربة من الخندق الكثيف القصب، والذي كانت تكثر فيه الاعشاب الغريبة والحشرات الطنانة، وكادا ان يصلا تقريباً إلى الجهة الثانية منه عندما تهادى تيد وكان عليه ان يجلس من جديد.

اخذ تيد يسعل وهو يرتجف ويكاد لا يقوى على التنفس. تمتم قائلاً: «الان فقط بدأت ادرك كم كان الموت قريباً!»

اجابته جنيفر بسرعة: «لا تفكر بما كان من الممكن ان يحدث، فان ذلك لم يحدث ونحن بخير وسنكون هناك عند ولادة الطفل الجديد.» كانت الدماء تسيل نحو عينيه، فمسحها بانفعال شديد، عندها تذكرت جنيفر ان لديها مجموعة من المحارم في حقيبتها فأخذت تبحث عنها، على الأقل يمكنها ان تجعل تيد يشعر بقليل من الارتياح. كانت المحارم الكتانية مبللة بمحلول معطر بارد، مما جعل تيد يطلق آهة من السرور عندما بدأت تنظف صدغيه وقال: «آه... ذلك رائع... ما هذه؟»

فشرحت له الأمر قائلة: «انني ازيل ظلال العيون بهذه المحارم.»

وبعد لحظة سمعا صوت محرك عربة كبيرة، قادم عبر البوابة البعيدة في الجهة الأخرى من الحقل.

سألها تيد: «هل هذا فيليب؟»

ارتسمت علامات الارتياح على وجهها، وابتسمت له قائلة: «اجل في رانج روفر. اتمنى ان يكون قد وجد طبيباً.»

سارت العربة عبر سنابل القمح لتهرسها وتخلفها وراءها. وعندما توقف الرانج روفر، نزل منه رجل يرتدي ملابس لعبة الكريكيت، وفي احدى يديه حقيبة. وسأل قائلاً وهو ينظر إلى تيد: «مريضي؟»

اجابته جنيفر: «اجل.» وتراجعت إلى الوراء، تاركة اياه مع تيد، وقد انضم اليها فيليب.

قال وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «كنت محظوظاً،

elromancia.com

امكنني ان احظى بتوصيلة إلى وسط القرية في الشاحنة الخاصة بتوزيع الحليب المحلي. وقد اخبرني السائق انني ساجد الطبيب في سهول القرية يلعب الكريكيت، وقد انزلني هناك وكنت في الوقت المناسب تماماً لأرى الطبيب يفوز على احدهم ويخرجه من اللعبة. لا اعتقد انه كان مرحباً بي من قِبَلِ بقية فريق القرية، فهو افضل هداف لديهم، لكنه كان يركن الرانج روفر الخاص به هناك، وهكذا امكننا ان نعود إلى هنا بسرعة.»

فاعترفت قائلة: «لم اسعد في حياتي برؤية احد هكذا!»

فابتسم لها وسألها: «هل انت بخير؟»

اجابته: «اني بخير.»

قال لها: «أرى انك اضطررت لنقل تيد مسافة ابعد. هل كان قد استرجع وعيه حينها أو انك سحبته؟»

أجابته: «لقد سار بمساعدتي. فقد بدا لنا ان النيران والدخان اصبحا على مقربة منا.»

أومأ فيليب برأسه وسار مبتعداً ليتأمل الحقل الذي هبطوا فيه، وقال بوجه متجهم: «هناك سيارة اطفاء قادمة أيضاً.» تماماً في الوقت الذي سمعا فيه كليهما صوت صفارتها، فاضاف فيليب: «اذكر الذئب يحضر!»

أخذا ينظران إلى سيارة الأطفاء وهي تدخل الحقل المقابل ثم تتوقف. نزل رجل الاطفاء يرتدون الملابس الخاصة بعملهم فبدوا وكأنهم رجال آليون أو اشخاص غريبين من الفضاء الخارجي بأجهزة التنفس التي يضعونها، وهم يرشُّون نوعاً من الرغوة المطفئة على الطائرة المروحية التي كانت النيران تتدلع فيها. وكان يتناهى إلى مسمعهما طقطقة

جهاز الراديو فيما كان المسؤول يعطي رجاله الأوامر، ثم وقف الطبيب وسار نحوهما. وقال: «ان الجرح سطحي ولا يظهر عليه أي علامات لارتجاج في المخ. اعتقد ان قطعة متطايرة من الحديد قد اصابته، لكن يبدو انها ضربة عرضية، وسيكون بخير، مع قليل من الحظ. رغم ذلك علينا ان ننقله إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوصات وصور اشعة له. يمكنني ان اقلكم جميعاً.»

وفيما كانوا جميعاً يبتعدون بالرانج روفر، اخذت جنيفر تنظر إلى ألسنة النار تخمد، والدخان الاسود يتصاعد فوق الريف وفكرت بصوت عال: «النار قوة مريعة.»

فرد الطبيب موافقاً: «انها قوة مدمرة.» فيما كان ينعطف نحو الطريق الرئيسي. ونظر تيد الحزين وفيليب إلى الوراء نحو الطائرة المروحية المشتعلة.

عندما وصلوا إلى المستشفى بعد نصف ساعة من القيادة، نقل تيد إلى قسم الاشعة وخضع كل من فيليب وجنيفر لفحص سريع قيل لهما بعده انهما بخير ويمكنهما المغادرة، إلا ان تيد سيبقى في المستشفى طوال الليل، على الاقل، وقد يمتد ذلك لبضعة ايام اضافية.

واخبرهما طبيب شاب قائلاً: «الشرطة تريد ان تتحدث اليكما قبل ان تغادرا. هل تشعران ان بإمكانكما القيام بذلك؟ ان ذلك سيوفر عليكما مشقة العودة غداً لهذا الإجراء.»

نظر فيليب إلى جنيفر متسائلاً وقال: «يمكنني ان اتكلم اليهم بمفردي ان كنت لا تشعرين برغبة في مواجهة ذلك.»

هزت رأسها نفياً وقالت: «انني بخير.»

فقال لها بتهكم: «آه، قوية كمجندة متمرسة، تتطلعين

لذلك! حسناً، عليّ أولاً ان اتصل بزوجة تيد وأُعلمها بما جرى بنفسي، يمكن للشرطة ان تنتظر خمس دقائق بعد.»

ذهبت جنيفر إلى غرفة الحمام فيما كان يتحدث هو إلى ميغن، حيث قال لها: «لا تجزعي، الأمر ليس خطيراً، يا ميغن ولا حاجة لأن تأتي الليلة، سيعطونه منوماً ليساعده على النوم. غداً سأجد سائقاً ليذهب ويحضرك إلى هنا ثم يعيدك إلى المنزل من جديد، وقد يتمكن تيد من العودة معك، لذا احضري له بعض الملابس النظيفة.»

سارت نحو المغسلة ونظرت إلى وجهها المسود من جراء الدخان وهي تبتسم بمرارة وسخرية ابتسامة فزع، يا له من منظر!

اخذت تنضح وجهها بكثير من الماء البارد، فشعرت ببرودة المياه على بشرتها، اوه، كم كانت تشعر بحرارة شديدة جداً!

سرحت شعرها، ونفضت العشب والغبار عن ملابسها، حسناً، انها تبدو طبيعية نوعاً ما الآن. هكذا فكرت.

عندما عادت كان فيليب يتكلم إلى شرطي كان يدوّن ما كان يقوله له، وحالما ظهرت جنيفر، قطع فيليب كلامه وقال: «هل يمكننا القيام بهذا غداً؟ كلانا نشعر بالتعب الشديد من جراء الحادث وبحاجة للراحة.»

اجابه الشرطي: «اننا بحاجة فعلاً لنتكلم اليك الليلة.»

احتج فيليب قائلاً: «لقد اخبرتك معظم ما استطيع اخبارك به.»

فنظر الشرطي إلى جنيفر وسألها: «ايمكنني ان اسألك بضع اسئلة يا آنسة...؟»

فقالت له: «سيدة يورك.»

نظر إليها نظرة قاسية، رفع حاجبيه قليلاً وقال مردداً: «سيدة يورك.» وكتب اسمها ثم اضاف: «فهمت، وكنت مع السيد هالكوم في الطائرة المروحية؟»

اجابه فيليب باقتضاب: «انها سكرتيرتي.» وبدا فجأة غاضب جداً.

فقال الشرطي دونما ان يظهر اية تعابير: «فهمت، يا سيدي.»

إلا ان فيليب استطرد قائلاً: «وتيد هوبسن، الرجل الذي جرح، يعمل عندي أيضاً، اتينا جميعنا إلى هنا لنقوم ببحث دقيق لمشروع خاص، لكن ذلك لا علاقة له بالحادث لا من قريب ولا من بعيد، وقبل ان يتم التحقق من الطائرة المروحية من قبل فريق الإطفاء ومهندس الطيران، لن نعرف السبب الذي ادى لتحطم الطائرة. قد يكون بكل بساطة مجرد عطل في المحرك لكن التحقق من السبب الاكيد سيتطلب بعض الوقت، وحتى نعرف المزيد لا جدوى من طرح الاسئلة علينا.»

فاجابه الشرطي قائلاً بادب وعناد: «حسناً، اخشى يا سيدي ان عليّ القيام بذلك، لكن لا بد انه كان حادثاً مزعجاً جداً، لذا لن اسألكما المزيد من الاسئلة الليلة. إلا انكما، انت والسيدة يورك، ستساعداننا ان بقيتما في مكان قريب الليلة وتأتيا إلى المركز لمقابلتنا غداً صباحاً. هناك فندق مريح في البلدة غير بعيد من هنا يدعى الغرين مان.»

قال فيليب بتهذيب: «اجل، نعرفه. لقد نزلت فيه لبضعة ايام. لكن، حسناً، ان اصريت سنمضي الليلة في الجوار،

www.elromancia.com

سنكون في الغرين مان الليلة وسنأتي إلى مركزك صباح الغد. لكن السيدة يورك الآن شاحبة، وقد يغمى عليها ان بقينا هنا لفترة اطول، لذا هل يمكننا الذهاب الآن؟»

شعرت جنيفر بالامتنان له لحمايتها، رغم انها ما كانت لتمانع في الاجابة على اسئلة الشرطة. مع ذلك، فان ما قام به كان امراً لطيفاً من فيليب اذ انه حساس، مفكر ولطيف بالرغم من كونه رجل معقد، فهو شخص صارم يعمل باجتهاد بالغ، يتمتع بصفاء الذهن والدهاء، لذا، لا عجب ان يعتز رجاله به كثيراً، اذ انه اينما وقع حادث يتكبد فيليب مشاقات كثيرة للتأكد من ان الرجل المجروح يلقى افضل رعاية ممكنة، وان عائلته تلقى عناية جيدة أيضاً. لدى شركته سجل وقائي جيد جداً كما وانه حاول دائماً تحسين مستوى الوقاية في المواقع، لكن في مواقع البناء هناك حوادث تقع دائماً، كما تبين لها فيما بعد، بعضها عائد لاخطاء بشرية والبعض الآخر عائد تقريباً إلى لا مبالاة متعمدة.

تثاءب فيليب وقال: «اوه كم انا تعب! يا له من يوم! من الافضل ان نذهب إلى الغرين مان. سأتدبر سيارة أجرة لتقلنا.»

فسألته: «كم نبعد عنه؟»

«نحو اربعة اميال.» ونظر فيليب إلى ساعته ثم أضاف: «انها تقارب السابعة. لم اتصور ان هذا كله تطلب كل هذا الوقت.» فضاقت عيناه قليلاً ثم سألها: «هل من الممكن أن تتعرضي لمشاكل مع زوجك ان امضيت الليلة بعيداً عن المنزل؟»

اتقد وجهها احمراراً لانها ادركت ما يرمي اليه بسؤاله حقاً وتمنت لو انه لم ير تلك الكدمات في ذلك اليوم، ويحاول وضع النقاط على الحروف وتمكنه من التوصل إلى ذلك لدرجة كبيرة، الا انها تمتمت قائلة: «انه مسافر، وسيستغرق ذلك حتى نهاية الاسبوع.»

تغيرت تعابير وجهه، وابتسم ثم قال: «حسناً. ذلك يجعل الأمور اسهل. أليس كذلك؟»

ذلك صحيح بالطبع، فإن راحة كبيرة تخالج نفسها لمعرفتها ان داني ليس في المنزل ينتظرها وهو ينظر إلى الساعة ويبدأ بالصراخ ثم يستيقظ غضباً، لكنها تمنت لو ان فيليب هالكوم لم يستوعب هذا الأمر لهذه الدرجة.

إلا انها سألته بتردد: «لا يمكن للشرطة ارغامنا على النزول في الغرين مان، أليس كذلك؟»

فنظر إليها فيليب، وقال: «ليس تماماً. لكن بصراحة، كنت سأنزل هناك بأي حال، فانا منهك جداً. لا اعرف كيف حالك، لكن عن نفسي، استطيع النوم في وقت مبكر الليلة، ولا اظن ان عليك القيادة والعودة إلى المنزل والعودة غداً.»

لم يكن بامكانها النكران انها كانت تعبة هي أيضاً. لقد كان يوماً سيئاً بالنسبة لكليهما. وبالنظر إليه عن كثب استطاعت رؤية الخطوط الكئيبة ظاهرة على وجهه وكأنها محفورة بعمق. إنه على حق، فقد كان يوماً شاقاً لكليهما لكن فيليب هو من ذهب لاحضار الطبيب واستدعاء رجال الاطفاء، لذا لا بد انه منهك اكثر.

ثم اضاف بجفاف: «ليس من الحكمة أيضاً ان تقودي بعد تجربة قاسية كتلك.» فتنهدت وسلّمت بأنه كان على حق.

قالت: «حسناً. إن كان بامكاني الحصول على غرفة.»

فقال: «سأتصل بالفندق، ثم اطلب سيارة أجرة.» وسار إلى حيث الهاتف في قاعة المستشفى.

كانت الساعة تقارب الثامنة عندما وصلا إلى فندق الغرين مان. كانت سيارة الأجرة التي اقلتهما قديمة، اما سائقها فقد كان اكثر قدماً، ومتمهل جداً في قيادته، فقد كان يقود عبر طرقات البلدة الضيقة كسلحفاة. جلست جنيفر على طرف المقعد الامامي إلى جانب السائق، واخذت تنظر من النافذة نحو الاسيجة الخضراء، والاشجار التي خلفها في الحقول.

كان منظر الغروب مذهلاً، حيث كانت الشمس تضيء الأرض بوهج دافىء لفت انتباهها. لم تدر له من قبل كم العالم جميل من حولها. بدا وكأن كل احاسيسها قد ازدادت حدة باقترابها من الموت لهذه الدرجة.

سرح نظرها في الحقول الخضراء حتى التلال بلونها الأزرق الغائم، ثم عاد إلى الاسيجة المزدانة بالزهور البرية المختلفة التي رأتها بشكل حالم تتوهج، وكانت تبدو كالافعى مرقطة داخل جرس بشكل طويل، ونبتة الاقحوان الغنية بأزهارها الحساسة بلونها الزهري الفاتح، وكانت تلك الأزهار تملأالجو برائحة كالعسل، والدفلى والصفصاف التي اضفت الجمال والاشراق على المكان.

وفي الوقت الذي وصلوا فيه إلى موقف السيارات في الغرين مان، كان الموقف يعج بالسيارات، فقد كان المكان موقعاً جيداً في الليل لابناء المدينة الذين رغبوا في القيام برحلة إلى البلدة خلال امسيات الصيف الحارة والطويلة

لتناول العشاء، او الجلوس في الحدائق وراء مطعم الفندق.

وفيما كانا يتجهان نحو غرفتيهما قال فيليب: «لقد حجزت طاولة في المطعم. لذا، ما رأيك بتناول الطعام بعد نحو نصف ساعة؟ ايمكنك ان تكوني جاهزة عندها؟»

«لكنني اريد ان اغتسل اولاً، فانا اشعر وكأني كنت في منجم فحم.»

بعد نصف ساعة نقر فيليب على الباب. فخرجت لملاقاته وهو يقول: «حسناً، لنذهب الآن ونأكل.»

لم يكن في المطعم سوى عدد قليل من الاشخاص، وكانت الخدمة سريعة، ففي اقل من ساعة كانا يشربان قهوتهما لان كليهما لم يكونا يرغبان بتناول الحلوى.

بدا فيليب منهكاً وشاحباً، لكن عقله كان مازال يعمل ويقرر ما الذي سيفعله في اليوم التالي، إذ قال: «اول ما سنقوم به في الصباح هو الذهاب إلى مركز الشرطة لنعطي بياناً رسمياً، ثم سأعيدك إلى المكتب واطلب من أحد رجالي ان يحضر لك سيارتك في وقت لاحق من النهار.»

كانت قد اعتادت على ان يأخذ القرار عنها، لكنها اقترحت بهدوء قائلة: «الن يكون من الأسهل ان أقود السيارة بنفسي إلى مركز الشرطة ومن ثم إلى المكتب؟»

«لا» اجابها فيليب بحدة ثم اضاف: «ربما غدا تكونين ما زلت متأثرة من الحادث، إذ عادة هناك تأثيرات متأخرة تظهر من جراء هذه الحوادث. من الأفضل ان لا تخاطري وتقودي.»

فاعترضت قائلة وفي عينيها نظرة سخرية: «وماذا عنك؟ ألن تعاني من تأثيرات متأخرة أيضاً؟»

فاجابها: «انا معتاد على الأوقات الصعبة، انها تواجهني دائماً في عملي. لقد واجهت مصيبة من قبل عندما قام احد المهرجين بوصل التيار خطأً بمهمة تدميرية أبقتني اصم لايام بعد ذلك، لكنني قوي.» ثم جال نظرة ليتأملها واضاف بصوت أجش: «فيما انت حساسة جداً تبدين كنبتة صغيرة ولا اريد ان تكسرك العاصفة.»

اخفضت عينيها، علا الاحمرار وجنتيها وكادت انفاسها تتوقف.

نظر فيليب إلى ساعته وقال: «حسناً. من الأفضل أن نأخذ قسطاً من النوم... جاهزة؟»

اومأت برأسها ونهضت. وعندما صعدا السلالم، سألها: «اتحتاجين شيئاً آخر؟»

اجابته: «لا، شكراً. سأكون بخير.»

فقال لها: «حسناً، اذاً طابت ليلتك يا جنيفر. نامي جيداً.»

وبصوت مبحوح قالت: «وأنت أيضاً. طابت ليلتك.»

كانت مرهقة جداً عندما دخلت غرفتها. وفي أقل من عشر دقائق كان النوم قد عرف طريقه إلى عينيها، لكن خلال الليل راودتها أحلام مزعجة.

فقد عاشت حادث تحطم الطائرة المروحية في خيالها من جديد. لا شك ان عقلها كان منشغلاً في استيعاب الخوف والصدمة اللتين نتجتا عن الحادث كان هدير الطائرة المروحية يملأ الجو، الخوف من التحطيم، الهبوط بتلك الطريقة المريعة وثم فيليب وهو يدفعها خارج الطائرة، مرغماً اياها على الركض، حتى وقع الانفجار وسقطوا على الأرض.

كانت الأحلام مفعمة بالحيوية جداً، وتتبدل بشكل كبير اذ انها تتأرجح بقوة بين الخوف واللامبالاة، الارتياح والسعادة بالنجاة والبقاء على قيد الحياة، والاضطراب الكبير الذي انتابها فيما كانت تراقب النار التي انتشرت في حقل القمح، والدقائق الأكثر اضطراباً وهي التي شعرت برقة وحنان فيليب لدرجة انها سادت فوق كل ذكريات ذلك اليوم العصيب.

كانت ما تزال تغط في نوم عميق عندما بدأ أحدهم يطرق بقوة على باب غرفتها. وسمعت صوت فيليب يردد اسمها بالحاح، ويقول: «جنيفر! جنيفر! هل أنت بخير؟»

نظرت إلى ساعتها وتأوهت ثم قامت لتفتح الباب مع ابقائه معلقاً بالسلسلة الحديدية.

ظهر وجه فيليب المتجهم عبر فتحة الباب الصغيرة تلك.

فقالت معتذرة: «آسفة. لقد استغرقت في النوم. كم الساعة الآن؟»

أجابها: «الثامنة وعشر دقائق. هل نمت جيداً؟»

أومأت برأسها وسألته: «وأنت؟»

أجابها: «كلوح خشب. كم يلزمك من الوقت لتصبحي جاهزة؟»

لاحظت انه كان انيقاً في مظهره فابتسمت إذ فكرت ان فيليب ارتدى هكذا ليقنع الشرطة كلياً بأنه مواطن محترم.

سألها وقد ضاقت عيناه: «لما تبتسمين هكذا؟»

فتوقفت عن الابتسام وقالت برزانة: «لا شيء. لن يتطلب ارتداء ملابسي طويلاً. امهلني خمس دقائق!»

سألها غير مصدق: «خمس دقائق فقط؟»

قالت له بصوت مبحوح: «يمكنك ان توقت لي الساعة، خمس دقائق!»

قال: «حسناً. سوف أوقت لك الساعة. سأكون في الطابق السفلي أقرأ الصحيفة. أتريدين شاي أو قهوة مع فطورك؟»

«قهوة، من فضلك.»

سألها: «أتريدين عصير برتقال؟» فأومأت برأسها ايجاباً ثم أضاف قائلاً: «أتريدين خبزاً أبيض أم أسمر؟»

أجابته: «أسمر، من فضلك.»

بعد ذلك أشار فيليب إلى ساعته وقال لها: «خمس دقائق، إذاً!»

أجابته: «صحيح!» ثم أقفلت الباب وأسرعت إلى غرفة الحمام.

استطاعت في غضون خمس دقائق ان تنتهي من ارتداء ملابسها، وتنزل إلى الطابق السفلي. كان فيليب يجلس إلى طاولته أمام النافذة، صحيفته مفتوحة وعيناه مثبتتان على احدى الصفحات حتى انه لم يرفع نظره نحو جنيفر عندما جلست.

فسألته بأنفاس شبه مقطوعة: «نجحت. أليس كذلك؟»

رفع فيليب رأسه. كانت عيناه قاسيتين ووجهه متحجر.

همست جنيفر له على الفور خائفة من أية اخبار سيئة قائلة: «ما الخطب؟ ليس تيد؟»

هز رأسه نفياً وقال: «لا. تيد بخير. لقد اتصلت بالمستشفى باكراً، وعلى الأرجح سيخرج إلى المنزل اليوم. لا، ليس هذا هو السبب...»

ورمى لها الصحيفة وراقب ملامح وجهها فيما كانت تنظر إلى الصفحة المفتوحة، وهي تتجهم.

لم تكن صحيفة قومية انما كانت صحيفة محلية توزع على نطاق واسع في هذا الجزء من انكلترا. ووقعت عيناها على عنوان أحد المقالات. فيليب كالهن في حادث تحطم طائرة مروحية. كان فيليب معروفاً جداً في المنطقة، لذا لم يفاجئها ان تفرغ الصحيفة مكاناً كبيراً كهذا لحادث تحطم طائرته المروحية.

فعلقت قبل أن تبدأ القراءة: «استقوا الأخبار بسرعة!» ثم امتقع لون وجهها. وأعادت قراءة المقالة قبل أن ترفع نظرها نحو فيليب.

ثم قالت: «جعلوا الأمر يبدو...»

أومأ برأسه ايجاباً وأكمل جملتها قائلاً: «وكأننا ننزل هنا معاً منذ عطلة نهاية الاسبوع. اعرف.»

فقالت جنيفر بخوف شديد: «لماذا فعلوا هذا؟»

أجابها فيليب ارتجالاً: «حسناً. أنا كنت أنزل هنا، بالطبع رغم اني لا أعرف كيف عرفوا بالأمر! أظن ان مراسلاً تحدث إلى أحدهم في مركز الشرطة، وحصل منهم على تفاصيل تحطم الطائرة، بما في ذلك اسمك، وعرفوا بأنك سكرتيرتي، وأخبروه اننا سننزل هنا للمبيت. بعد ذلك اتصل بفندق الغرين مان فأخبروه انني أنزل هنا منذ ثلاثة أيام، وبكل بساطة قفز إلى الاستنتاج انك أنت كنت معي، أيضاً.»

كان تحليله ذلك منطقياً ومع ذلك... قالت جنيفر بحزن: «هذا ما كتبوه...»

كان فيليب شخصاً معروفاً جداً في وسط انكلترا، فقد كان رجلاً ثرياً وذا نفوذ. وكانت الصحافة تجد فيليب

شخصاً مذهلاً، ولطالما كانت تنشر الأقاويل عن حياته الخاصة. ومن الواضح، ان الصحافيين اعتبروا دون أي شك ان جنيفر كانت على ارتباط معه، ودون المخاطرة بنشر ذلك علانية. فان الصحيفة لمحت بمقالتها ان فيليب وجنيفر صديقين.

ففكرت بصوت عال قائلة: «ماذا سنفعل؟» وأخذت تقرأ القصة من جديد بخوف أكبر.

نظر فيليب إليها نظرة متجهمة، متفحصة وسألها: «ان رأى زوجك تلك الصحيفة أيمكن أن تتسبب بمتاعب؟»

أومأت جنيفر برأسها وقد شحب لونها.

إلا ان فيليب قال بتمهل: «لكنه مسافر، أليس كذلك؟»

فقالت له: «أجل.»

أجابها: «حسناً. لنفترض انه لم ير الصحيفة، وهكذا فمن المرجح انه لن يقرأ المقالة.»

لم يكن غضب فيليب جدياً حول الأمر، معتبراً ان قلقها لا معنى له، لكن جنيفر بقيت قلقة طوال اليوم. وتمنت ألاّ يرى داني المقالة، فقد كانت خائفة من ردة فعله. عندما استيقظت كانت تشعر بالجوع، لكنها الآن لم تعد جائعة أبداً.

لم تتناول شيئاً من طعام الفطور واكتفت بأن شربت بعض القهوة الثقيلة فقط قبل أن يذهبا إلى مركز الشرطة. كان هناك مراسلاً صحافياً عندما وصلا، لكن فيليب استطاع أن يجعله يرحل دون أن يتكبد الكثير من العناد.

وبعد مضي نحو الساعتين وصلا إلى المكتب، وكان على جنيفر أن تواجه الفضول المذهل للفتيات الأخريات، اللواتي سمعن عن تحطم الطائرة. فقد بدا ان النبأ قد أذيع في

الأخبار المحلية على الاذاعة في وقت مبكر ذلك الصباح. الأمر الذي جعل جنيفر تجفل وتتساءل عن امكانية عدم علم داني بالحادثة؟

قالت لها بيتال وهي تحدق بها: «لقد صعقت! لا بد انك اعتقدت انك ستقتلين فيما كانت الطائرة تسقط!»

اعترفت جنيفر قائلة: «أجل.» لكنها تذكرت انها لم تكن خائفة فقد غمرها شعور غريب بالارتياح وكأنها ستتخلص من مشاكلها مرة واحدة بالموت.»

مع ذلك، وفيما بعد عاشت لحظة من السعادة الغامرة وغمرها شعور جديد من الاحساس بجمال العالم، وامكانيات الحياة...

قالت لها بيتال: «انها لأعجوبة انك لم تقتلي.» وكأن جنيفر لم تكن تدرك ذلك فقهقهت ضاحكة.

أمضى فيليب بعد ظهر ذلك اليوم خارج المكتب أيضاً، إلا انه عاد عند الساعة الخامسة وطلب من جنيفر ان تعمل لساعة بعد أو نحوها. وفيما هو ينظر إلى وجهها الشاحب بشيء من تأنيب الضمير قال لها: «آسف. اعرف انك تعبة دون شك إلا أنني لن استبقيك طويلاً هذه المرة.»

رفعت كتفيها بلا مبالاة وبقليل من الامتعاض قالت: «سأتدبر الأمر. لا تقلق بشأني. إنني أقوى مما أبدو.»

نظر إليها بعينين تشعان رقة وذكاء وقال: «ما من امرأة يمكن أن تكون قوية لتلك الدرجة.»

السخرية الرقيقة في كلماته جعلتها تضحك ضحكة قلقة نوعاً ما. أضاف فيليب وهو يبتسم: «ولم تحضري سيارتك بعد، أليس كذلك؟ آسف. لقد نسيت أمرها تماماً، لكنني

سأقوم الآن بالترتيبات اللازمة كي يحضروها إلى هنا صباح الغد، والليلة سأوصلك إلى المنزل بنفسي.»

فقالت له: «لا حاجة لذلك، يمكنني أن أستقل الباص...»

فقاطعها قائلاً باصرار: «لا تكوني سخيفة، فليس هناك من مشكلة بالنسبة إلي. أما الآن، هل بامكانك ايجاد عقود لامبت واحضارها لي؟»

كانت الساعة قد بلغت السابعة عند مغادرتهما المكتب سألها فيليب بهدوء: «بما ان الوقت قد تأخر هل تتناولين العشاء معي؟»

كانت تتوقع ذلك نوعاً ما، فهو يعرف ان زوجها مسافر. لم تنظر إليه انما أشاحت بوجهها عنه واكتفت بان هزت رأسها ثم قالت: «لا أستطيع. يجب أن أذهب إلى المنزل. أريد أن أكون موجودة فيما لو اتصل زوجي.»

كانت قد أمضت النهار كله منزعجة، واعصابها مشدودة إلى أقصى حد. فقد كانت تخشى أن يعود داني وهو في مزاج عدواني لأنه سمع عن سقوط الطائرة المروحية، وبقائها تلك الليلة في فندق غرين مان مع فيليب، لم تكن في مزاج يخولها الخروج لتناول العشاء والتظاهر بأنها هادئة، فيما هي تعرف انه قد يصل إلى المنزل في أية دقيقة.

قال لها فيليب بحزم: «علينا أن نتكلم.»

رغم انها تعلم ما يود التحدث به، سألته من غير أن تنظر إليه: «عن ماذا؟»

قال بصوت خفيض أجش: «عني وعنك.»

همست قائلة: «لا يا فيليب. لا تقل شيئاً... لا أستطيع الاستماع، ولا أريدك أن تتفوه بأي كلمة.»

تذمر فيليب متابعاً: «حسناً، لن نتكلم عنا، ولكن مهما حدث لا تستطيعين البقاء معه يا جنيفر. يوماً ما سيؤذيك هذا الرجل كثيراً وإذا ما استمر بضربك، وأنت تعلمين ذلك، فلماذا تبقين معه بانتظار ماذا سيحدث لك؟»

قالت والبؤس جلياً على ملامحها: «انه زوجي وأحبه. ولن أناقش موضوعه معك أنت، يا فيليب. لا أستطيع المضي في العمل عندك. كان عليّ ترك العمل منذ فترة طويلة. أنت تعلم انه كان يجب عليّ ذلك. سأقدم استقالتي بشكل رسمي نهار الاثنين.»

توقف فيليب أمام بيتها وجلس محدقاً في الفراغ. كانت أصابعه تنقر على المقود. مدت يدها لتفتح الباب لتتمكن من الخروج عندما انفجر فجأة: «لا تذهبي يا جنيفر، يجب أن أخبرك بما أشعر. أكاد أجن...»

شعرت بألم في قلبها وبالكاد استطاعت التنفس، فلقد كانت تتمزق بين الفرح الغريب والحزن المدمر وتمتمت قائلة: «لا تكمل. ألا ترى؟ لهذا عليّ الرحيل.»

سمعت تنهيدته العميقة، تابع بهدوء: «أنت تعلمين بما أشعر. أليس كذلك؟» وساد الصمت بينهما ثم زفر بسرعة وهمس: «هل تعلمين يا جنيفر؟»

قالت بوضوح: «لا يا فيليب، لا أعلم، ولا أستطيع التحمل أكثر.» وانفجرت بالدموع وخرجت من السيارة.

لم تتوقف عن الركض إلا عندما وصلت إلى باب بيتها، وضعت المفتاح في القفل، ولكن الباب فتح من الداخل. وتوقف قلبها عن الخفقان عندما رأت داني يترنح هناك.

تجمدت مكانها وقالت: «داني!»

كان يرتدي قميصاً وقد انتزع ربطة عنقه وكان أشعث الشعر محتقن الوجه.

قال بصعوبة: «لقد عدت باكراً.» محاولاً الابتسام ولكن كانت نظرة عينيه تشع بالرعب المميت.

تابع بخشونة: «لم تتوقعي... آه... عندما يغيب الهر إلعب يا فأر! لا تعتقدي اني لم أعلم أين كنت. لقد قرأت عن كل هذا، وأنا أعلم كل شيء، لذا لا تنزعجي بالكذب عليّ هذه المرة.»

رفع ذراعه ورأت الجريدة ممزقة بين يديه، رماها بها صارخاً: «الحقيقة واضحة كالشمس... أيتها الحقيرة... انها كلها هناك، واضحة للعيان!»

كانت خائفة جداً حتى ان عقلها خدعها، لم تستطع إلا أن تتلعثم بيأس: «داني... أنا... ليس الأمر كما يبدو. ليس كما جعلتها الجريدة تبدو... أنا وفيليب لم نمكث مع بعض...»

«كاذبة.» وصفعها بشدة قبل أن تلاحظ حركة يده. الصفعة جعلتها تترنح وتصطدم بالحائط، وقبل أن تتمكن من التماسك ضربها ثانية، بقسوة، جعلت آذناها تطنان بشدة وبدأ رأسها بالدوار.

انحنى داني باتجاهها وقال: «هذه هي نهاية كل تلك الأكاذيب، يا جنيفر، عليك الاعتراف هذه المرة! انه صديقك... أليس كذلك؟» وعاد يضربها بقوة. حاولت الاجابة، حاولت النكران، ولكنه تابع بشراسة: «انه صديقك أليس كذلك... أيتها الصغيرة؟»

صرخت: «لا!» وقبل أن يتمكن من ضربها ثانية، حاولت

التخلص منه، فهربت عبر الممر إلى غرفة الحمام، كي تقفل على نفسها هناك، كما فعلت مراراً.

في هذه المرة، تصرفها كان بطيئاً، فقد كانت ترتجف بقوة ما منعها من الركض. أمسكها داني قبل أن تتمكن من الفرار، وقال: «إلى أين تريدين الذهاب؟ عائدة إليه؟ لا... لن أسمح لك بذلك! لن ترينه مرة أخرى! هل تسمعينني؟ لن أسمح لك بالذهاب إليه ثانية!»

ثم بدأ يضربها بوحشية عمياء في حين لم تدافع عن نفسها أبداً. فلقد اكتشفت منذ فترة طويلة، ان غضبه الأعمى كان يرعبها ويجمدها مكانها، حتى انها لا تحاول أن توقفه أو حتى أن تضربه أو ترده عنها. كانت ترتجف، شاحبة اللون حتى بدون صراخ، ودفعها ثانية إلى غرفة الجلوس. كانت صفعاته تتوالى بقسوة.

صرخ في وجهها: «سأقتلك قبل أن يحدث هذا.»

كان يعني ما يقول، لقد رأت ذلك في وميض عينيه المخيف. سيقضي عليها داني من دون شك.

كانت دائماً تفكر ان هذا ما سيحدث في النهاية، حتى أنها كانت تتمنى ذلك أحياناً. وترحب به كحل نهائي لوضعها اليائس.

كانت يداه تضغطان على عنقها، لم تعد تستطيع التنفس، تلهث بقوة لتحصل على الهواء ولكن قبضته كانت أقوى. احست بنفسها قريبة من الموت. حاولت التملص من قبضته، لكن داني كان أقوى منها، وسمعت أنفاسها تتقطع أو انها كانت تنشج محاولة التكلم معه وعيناها تصرخان فيه.

انها تموت، الفكرة بدت لها غير معقولة، غير حقيقية... عندها اندفع رعب غريب في داخلها، جلبة قوية في رأسها. انها لا تريد الموت... انها تحب الحياة وتريد أن تحياها.

كان فكرها غائب، شعرت ان وعيها يغيب ببطء وقوتها تضعف. وبألم لاذع احست انها تموت. هذا ما تعانيه، هذا الضعف، هذا الارتباك في فكرها وحواسها... هذا هو الموت.

الفصل الرابع

سمعت جنيفر صوتاً قادماً من الظلام الذي تعيشه: «آه لا... غير ممكن... لا.» كانت تغوص في أماكن باردة فلم يعن لها الصوت شيئاً. لم يكن عندها الرغبة أو الطاقة للعودة.

في مكان ما، كان أحدهم يتنفس، بسرعة، بقوة، وكأنه يلهث من الركض، كانت تحاول أن لا تتأثر به لأنها ان فعلت ستعود من الغيبوبة وهذا ما لا تريده. هربت ولم تكن تعلم تماماً مما هربت، المهم ان لا تعود ثانية. كانت تشعر هنا بالأمان، بالهدوء، فلا أحد يتشاجر معها أو يحاول أن يؤذيها.

قال الصوت بمرارة: «لا تموتي يا جنيفر... أرجوك... لا أستطيع تحمل ذلك.»

كانت تهب من أي احساس يبعدها عن السلام الذي تشعر به.

«آه.» شعرت بنفس عميق، ثم ان هناك من أمسك برسغها بحذر وكأن إبهام يد ضغط على شريانها يبحث عن نبض ما. فهمت ذلك بغموض. هل كان هناك نبض؟ ألم يتوقف قلبها عن الخفقان بعد؟ كانت متأكدة من ذلك. فهي الآن غائبة عن الوعي. أليس كذلك؟ كم من الوقت تحتاج لكي تموت؟

تمتم الصوت بفرح: «ما زلت على قيد الحياة. آه... يا

www.elromancia.com

جنيفر، لقد اعتقدت للحظة انك ميتة، ولكن ها أنت حية ترزقين.»

لا، انه مخطىء، انها ميتة، ما زالت تذكر كيف ماتت.

همس الصوت: «استيقظي يا جنيفر...»

ارتجفت. فقد عرفت من الذي يكلمها، فتنهدت تنهيدة ضعيفة مظهرة اعتراضها. لما لا يتركها بمفردها؟ لا تريد أن تستيقظ. كانت خائفة من ان تفتح عينيها. كانت تتمنى لو انها ميتة حقاً. إذا فتحت عينيها ستواجه... شيئاً ما... شيئاً ما لا تتذكره تماماً. لكنها تشعر به، ما زال يواجهها، منتظراً الانقضاض عليها.

لا تتذكر ما الذي حدث قبل أن تسقط في هذا الظلام، ولكن كان هناك ألم وحزن وخوف وهي ان استفاقت من الغيبوبة سيعود اليها كل هذا العذاب، لأنه ينتظرها.

كان الصوت لجوجاً يهمس بيأس: «جنيفر، ارجوك، استيقظي. قولي شيئاً ما... انهضي.»

تحركت وبدأت بالسعال، والسعال آلم حلقها المتورم الجاف.

«حلقي... يؤلمني.» كانت تئن.

قال باندفاع: «لا تتكلمي إذاً، افتحي عينيك فقط.»

كان اندفاعه عنيفاً، مما جعلها تطيعه ففتحت عينيها، لتجده جالساً أرضاً أمامها، وزحف الخوف والرعب إلى أعماقها فدفعته عنها بضعف.

«لا، ماذا تفعل هنا؟ فيليب هل جننت؟ سيقتلك داني ان وجدك هنا. ما كان عليك المجيء! اذهب... أرجوك.»

حاولت جاهدة النهوض ولكن قدماها لم تسعفاها

فترنحت وكادت أن تقع أرضاً لولا انها لم تمسك بكرسي إلى جانبها. في تلك اللحظة وقع نظرها على داني الذي كان على الأرض على بعد خطوات منها.

اجفلت جنيفر من الصدمة. ماذا يفعل هناك على الأرض؟ هل تقاتل هو وفيليب؟ هل ألقاه فيليب أرضاً؟

عندها لاحظت بقعة من الدم متجمدة على شعره البني. وبعض الدماء تسيل ببطء على وجهه البارد.

صرخت وأمسكت بالكرسي لتقف: «داني... ما بك؟»

رمت بنفسها بجانبه ترتعد وترتجف. لم يكن يتحرك ولم يفتح عينيه عندما ناديته. تجمد الدم في عروقها لعدم قدرته على الحراك. لم يكن صدره يتحرك. حاولت الاصغاء إلى دقات قلبه ولكن شدة اضطرابها جعلها صماء.

بدأت بالصراخ: «داني! داني!» حاولت جاهدة أن ترفعه ولكن جسده الثقيل منعها. كان مجرد جثة هامدة بين يديها.

كانت تنظر إليه بعينين واسعتين مندهشتين وهي تهزه بقوة.

قال فيليب باقتضاب: «توقفي، يا جنيفر، كل هذا لن يجدي نفعاً. لقد مات.»

انفجرت بصرخة مخنوقة: «لا، لا تقل هذا. كلا انه لم يمت... داني... استيقظ يا داني!»

أمسكت برسغه بحثاً عن نبض ما.

حاول فيليب أن يبعدها عنه ممسكاً بها كي تنهض ولكنها قاومته بهزة من رأسها. وصرخت: «دعني وشأني.»

تجهم وجهه وقال بصوت جاف: «لن تستطيعي فعل شيء له يا جنيفر. لقد أخبرتك انه ميت.»

www.elromancia.com

«لا تقل هذا. انه ليس بميت، علينا فعل أي شيء! الاتصال بالطبيب أو الحصول على سيارة اسعاف لنقله إلى المستشفى.»

أشاحت بوجهها باتجاه الهاتف، عندها رأت الشمعدان النحاسي الذي أهدتها إياه عمتها إيلا يوم زفافها، والذي كانت تضعه دائماً على طاولة صغيرة قرب النافذة، أما الآن فهو على الأرض على بعد خطوة أو اثنتين من داني، وكانت قاعدته ملوثة بالدم.

حدقت جنيفر بغباء بالشمعدان للحظة. كانت تنظر إلى الشمعدان ثم إلى داني. ثم ارتفعت عيناها إلى فيليب الذي كان شاحب الوجه وينطق بالألم.

قال بصوت خفيض: «لا تنظري هكذا. كان يحاول قتلك، ويسد عليك منافذ الحياة. كان يجب ايقافه.»

شحب وجهها وهمست: «أنت قتلته. آه... يا لداني المسكين! لقد قتلته...»

سمع فيليب من الباب الفتوح في الشقة لهاثاً فأصيب بتشويش ذهني. كانت صاحبة الشقة المجاورة تقف على الباب تحدق بعينين مليئتين بالفضول. نظرت إلى داني، مضرجاً بدمائه على الأرض، وجنيفر جالسة بجانبه، ثم انتقلت بعينيها إلى فيليب. ملامح من الريبة ظهرت على وجهها، ارتعبت وبدأت بالصراخ.

شعرت جنيفر ببرودة قاسية وسقطت على الارض مغمياً عليها.

عندما فتحت عينيها للمرة الثانية، رأت شقتها تعج بالناس وكانت على الكنبة، لم تدر كيف أصبحت هناك. لم

تسترع انتباه أحد، فرفعت رأسها لتحدق بما يجري حولها. ما الذي حدث؟ من هم كل هؤلاء الأشخاص؟ لقد تعرفت على جارتها تتكلم مع رجل يرتدي بذلة رسمية. حدقت جنيفر جيداً بثوبه العسكري، ذو الأزرار اللماعة، رجال الشرطة! ماذا يفعلون هنا؟ شرطي آخر كان يتكلم مع فيليب الذي كان متجهماً وشاحباً. وتذكرت شيئاً فظيعاً ومزعجاً، شيئاً عن داني؟

فكرت... داني؟ وأخذت تتحرك ببطء. عندها اقترب منها شخص يرتدي ثوباً أبيضاً: «كيف تشعرين الآن، يا سيدة يورك؟»

أدار فيليب وجهه نحوها بحدة، ابعدت عينيها عنه وهي ترتجف.

همست: «داني؟» وأخذت تبحث عنه.

كان هناك شكلاً ما على الأرض، مغطىً بملاءة بيضاء. بدأت جنيفر بالصراخ محاولة الجلوس: «داني.»

حاول فيليب الاقتراب منها، لكن أحد رجال الشرطة أمسكه بيده ليمنعه من المتابعة. شعرت جنيفر بحركته. نظرت إليه بعينين مفجوعتين، وقالت: «مات. أليس كذلك؟» نوع من الهستيريا أصابتها وبدأت بالصراخ. كانت تبكي بدون دموع، ثم صرخت بصوت ملتاع: «لقد مات وأنت من قتله!»

ازداد فيليب شحوباً. لكنه لم ينبس بكلمة، فقط كان يحدق فيها.

كانت تتهمه وتضع اللوم كله عليه، بسبب ما حدث لزوجها إذ تابعت: «هذا ما وصل إليه... أي نوع من العذاب كان

يعيشه؟ حادث الارتطام... فقدانه أمه... والطفل...» وهنا انفجرت ببكاء مرير: «الطفل... هذا ما آلمه كثيراً، على ما اعتقد. آلمنا معاً كثيراً. طفلنا توفي قبل أن يرى النور... لم يكن عدلاً... لما حصل كل هذا لنا؟ لماذا نحن؟ ما الذي فعلناه لنستحق كل هذا العذاب؟ والآن لقد مات. آه، كم أتمنى لو لم أرك قط، لم أعمل عندك، لكان داني حياً الآن.» ارتفع صوتها بقسوة. كانت تحدق بالجسد المغطى على الأرض، ووجهها كان شديد الاضطراب وتابعت: «انها غلطتي في البداية، أليس كذلك؟ لقد مات بسببي! آه لن أستطيع تحمل ذلك. أكاد أجن.»

أحد رجال الشرطة كان يسجل كل كلمة كانت تقولها على مفكرة في يده فقال: «ماذا تعنين، سيدة يورك، انها غلطتك؟ لما تقولين هذا؟»

التفت فيليب نحوه بغضب قائلاً: «ألا ترى بأية حالة هي؟ دعها وشأنها!»

وتدخل الطبيب مسانداً: «أوافقه الرأي. لا تستطيع الاجابة على أي سؤال الليلة. عليّ تهدئتها. فهي ليست بحالة تستطيع معها أن تعطيك أجوبة ذات قيمة.»

انحنى باتجاهها، غير أنها ابتعدت عندما رأت في يده حقنة المهدىء.

قال محاولاً التخفيف عنها: «انها لن تؤلمك!» وبحركة رشيقة فرك ذراعها بقطعة من القطن. صدر عنها انة بين النشيج والضحك الغريب وقالت: «انها لن تؤلم؟ لا تنزعج بالكذب علي. كل شيء يؤلم إلا في حالة الموت. يتوقف الألم عند ذلك. كم أتمنى لو كنت ميتة... آه، يا داني...»

تباعدت الكلمات من فمها، وابتعدت الغرفة أيضاً. أغمضت عينيها ممتنة وكأنها هربت ثانية إلى النسيان.

في اليوم التالي، تحدثت الشرطة معها في غرفة هادئة صغيرة في المستشفى المحلي. كانا شخصين امرأة ذات وجه هادىء، والثاني رجلاً في الأربعين من عمره ضعيف البنية، له وجه ينم عن الذكاء. لاحظت جنيفر انهما يجلسان بقرب سريرها. بقيت متكئة، شاحبة، وعلامات دكناء تبرز على وجهها المحطم. كانت تعلم كيف تبدو فلقد رأت نفسها في المرآة وعلمت ان هذا سيجلب اليها الكثير من الأقاويل ولكن لم تهتم للأمر، فلا شيء يعني لها البتة.

«كيف تشعرين الآن، سيدة يورك؟ أنا الرقيب الأول روجز وهذه مساعدتي السرجنت دايل. نحن نعتذر عن ازعاجك في هذا الوقت. لكن نأمل أن تتفهمي الالحاحية لمعرفة كيف توفي زوجك بالضبط. ولهذا علينا التكلم معك.»

أحنت جنيفر رأسها بكآبة وقالت: «أتفهم ذلك.»

تابع: «حسناً، شكراً لك. والآن اعتقد ان عليك اخبارنا ماذا حدث تماماً منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى البيت البارحة.»

بصوت أبح قالت: «كان داني غاضباً جداً مني، بسبب سوء فهم لأمر قرأه في جريدة الأمس...»

فتح الرقيب الأول ملفاً كان يضعه على ركبتيه وأخرج منه الجريدة الممزقة وقال: «هذه هي، يا سيدة يورك؟»

اضطربت وأحنت رأسها موافقة.

تابع: «هل صدّق زوجك ما كان مكتوباً في الجريدة؟»

قضمت شفتها وهي تقول: «نعم... لقد كان... داني...»

قاطعها قائلاً: «يغار عليك؟»

تابعت وقد اتقدت وجنتيها احمراراً: «لم يكن هناك أي سبب لذلك... كانت هذه أكاذيب... لكنه كان غاضباً... وحزيناً...» خانها صوتها. كانت تحدق بغطاء السرير ويديها تتحركان باستمرار.

حاول الرقيب حثها على المتابعة: «هل ضربك؟»

أجابته بالموافقة من دون أن ترفع نظرها.

«هل كان يضربك دائماً، يا سيدة يورك؟»

همست: «فقط عندما يكون مضطرب الاعصاب.» لكنها تابعت بشراسة: «داني كان يحبني. ولا يرغب في أذيتي. كان دائماً يندم بعد ذلك ويتأذى بشدة عندما...»

كانا يحدقان في وجهها المتورم، وخديها الزرقاوين، والصدمات الدكناء حول عينها، والجروح العميقة من اظافره على رقبتها. كيف تحملت كل هذا العذاب من غضبه. شعرت جنيفر بتحديقهما فأجفلت.

«لن أسمح لكما بالتفكير... داني كان رجلاً لطيفاً. لقد تعرفت عليه منذ نعومة أظافري، كان أعز اصدقائي ثم خطيبي وزوجي. كنا سعداء جداً إلى أن تعرض لذلك الحادث المشؤوم.» عندها أخبرتهما كيف أصيب بالحادث، وفقد أمه. وعن عذابها واجهاضها للطفل والأشهر المريرة التي أمضاها داني في المستشفى. وتابعت: «بعد كل هذا لم يعد إلى طبيعته قط، لقد أصبح حزيناً ويائساً.»

أعقب ذلك فترة من الصمت قطعها الرقيب الأول بسؤاله: «كيف استقبل زوجك فكرة العمل عند السيد كولهن؟»

قالت من دون أن تلتفت نحوه: «كانت رغبتي بالعمل من

اجل الحصول على المال، ولقد كان سعيداً جداً عندما حصلت عليه.»

سألها بلطف: «بقي هكذا حتى بدأ يشعر بالغيرة من السيد كولهن؟»

أجابت: «كان ينزعج من البقاء بمفرده ساعات طويلة في المساء. فمن عادة السيد كولهن أن يبقى خارج المكتب في النهار، وعندما يعود كان يفضل أن أكون في انتظاره ليملي علي الأمور الأساسية لأطبعها على الكومبيوتر. ثم بعد ذلك يحفظ هذه الملفات في خزانته.»

«وهل كنت تعملين دائماً على هذا المنوال؟»

«عدة ليال في الاسبوع.»

تابع الرقيب: «وإلى أي ساعة تبقين في العمل؟»

أجابت: «لا أعلم، لم أكن أنظر إلى الساعة، ولكن اعتقد حتى وقت متأخر. كان هذا جزء من اتفاقية العمل، ذلك انه عندما قبلت بالعمل عند السيد كولهن... كان قد أوضح لي انه لا بد من العمل ساعات اضافية، وبذلك استطيع التوافق في العمل بالانصراف خلال النهار مقابل تلك الساعات. وكنت أحصل على مالٍ اضافي من أجل تلك الساعات.»

قال الرقيب بطريقة جافة: «ولكن هذا الأمر لم يعجب زوجك؟»

تنهدت وتمتمت: «نعم.»

نظر الرقيب اليها محققاً وتابع: «في الحقيقة، كان يغتاظ من ذلك، ثم أصبح يغار من السيد كولهن؟ كان يتوقع ان بقائك معه إلى ساعة متأخرة بعد الدوام لم تكن بسبب العمل فقط؟»

شعرت وجنتاها تتقد ناراً. نظرت إلى عيني الشرطي لتدافع عن نفسها: «أحياناً كان يستعمل الفاظاً نابية، لكن عندها يكون متعب الأعصاب. كان يعلم انها ليست الحقيقة، كل هذا بسبب... انه من بعد الحادث... أصبح عاجزاً... وكان لهذا تأثير سيء عليه، كان يشعر بمرارة قاسية.»

حدق بها الرقيب وكأنه يشعر بخيبة أملها. أعقب ذلك بعض الصمت كي تسترجع رباطة جأشها. ثم قال: «ما كان تأثير هذا الأمر عليك، يا سيدة يورك؟»

نظرت إليه وهي في غاية الاضطراب: «عليّ، آه... حسناً. لم يكن أمراً سهلاً علي أيضاً.»

«ولكنك ما زلت شابة وجميلة جداً... وانه لمن الطبيعي أن تكوني حزينة ومحبطة. والسيد كولهن شاب جذاب. وأستطيع أن أتخيل كيف تنظرين إليه كما وانه مغرم بك كثيراً.»

حدقت به من دون أن تراه ثم صرخت: «لا... آه لا. انه ليس مغرماً بي. لا يحق لك قول هذا. انها كذبة حقيرة. لم يكن هناك شيء بيننا. أنا أحب زوجي وكنت دائماً مخلصة له.»

كانت عينا الرقيب ترقب دفاعها من غير أن تتفاجأ أو تبدي أي حكم، فقط تكتب الحقائق وتركز على الاحتمالات الصادقة أو الكاذبة وقال: «ولكن السيد كولهن مغرم بك حقاً، يا سيدة يورك.»

قالت بصوت خشن وهي تضع يديها على اذنيها: «لا. لا وألف لا.»

نهضت الشرطية من كرسيها وسكبت كوباً من الماء،

قدمته لها، أخذته بيد ترتجف، وأفرغت معظمه على ثيابها وهي تشربه. كان الماء بارداً وحلقها جاف شربت وهي ممتنة.

وضعت الكوب بجانبها. فاستأنف الرقيب أسئلته: «لنعد إلى مساء البارحة عندما عدت إلى البيت ورأيت زوجك بانتظارك. تابعي منذ اللحظة التي بدأ يهاجمك بها.»

«لا أستطيع، لا أدري ما الذي حدث بعد ذلك. وضع داني يديه حول عنقي...»

قال: «حاول أن يخنقك؟»

أجابت: «لم يكن يعلم ماذا يفعل! بالطبع لم يكن يريد... لكنه فقد السيطرة على نفسه. لقد غبت عن الوعي. وعندما استعدته كان داني... على الأرض... لقد كان ميتاً ولكن لم أعرف كيف ولم أدر ما الذي حدث.»

«ولكن السيد كولهن كان هناك؟»

«نعم.»

«هل كان هناك قبل غيابك عن الوعي؟»

«لا، آخر مرة رأيته كان عائداً إلى بيته ولا أدري كيف عاد وأصبح في الشقة.»

عاد الرقيب يسأل ويكتب: «هل تتذكرين... ان كان باب شقتك مفتوحاً أم مغلقاً؟»

حاولت تذكر تفاصيل ليلة أمس وقالت: «عندما عدت إلى البيت وأخذت المفتاح لفتح الباب تفاجأت بداني يفتحه لي من الداخل.» وانهمرت دموعها، أخذت منديلاً، من جانبها مسحت به عينيها ثم تابعت: «فتح زوجي الباب الرئيسي قبل أن أضع المفتاح فيه ولا أتذكر انه قد اقفله.»

«إذا هذا هو الاحتمال الذي مكن السيد كولهن من الدخول ليصبح شاهداً على أعمال زوجك الوحشية؟»

«اعتقد ان هذا ما حصل.»

عاد الرقيب يسأل: «متى شعرت بوجوده في الشقة؟»

قالت: «ليس قبل أن استعدت وعي، كنت مرمية على الأرض وفيليب كان بجانبي يحاول مساعدتي.»

بدا صوت الرقيب الهادىء مخادعاً: «وعندما استعدت وعيك، هل كنت تعلمين ان زوجك قد مات؟»

أجابت: «لا. اعتقدت ان داني كان خارجاً، وطلبت من فيليب الرحيل فوراً قبل عودته. كنت خائفة من داني، فهو ان رآه في البيت قد يقتله على الفور. ثم فجأة رأيت داني على الأرض، ثم رأيت الدم على وجهه. حاولت مساعدته، لكنه كان بارداً وثقيلاً جداً، لم استطع تحريكه. طلب مني فيليب ان أدعه، وقال انه ميت. ولكني لم أصدق ذلك. وحاولت مساعدته، لكني رأيت الشمعدان.» وأجهشت بالبكاء.

«عندها علمت كيف قتل زوجك؟»

أومأت برأسها موافقة.

تابع المحقق: «هل تتهمين السيد كولهن بقتل زوجك؟»

هزت برأسها موافقة ولم تنبس بأي كلمة.

«ولماذا تفعلين ذلك، يا سيدة يورك؟»

قالت: «لقد قال لي ذلك، قال ان داني سيحاول قتلي وان عليه منعه.» تابعت بيأس: «بالطبع لم يقصد قتله. اعتقد انه مجرد حادث، فلقد التقط اقرب شيء لديه وضربه به.»

هذه هي الحقيقة، عليها أن تخبرهم بها، من أجل مصلحة داني فهي تدين له بالحقيقة. ولكنها تشعر بالذنب

واحساس بالخداع والدمار يثقل كاهلها. فداني قد مات وحياة فيليب كولهن قد دمرت، كل هذا بسببها، فالاثنان كانا أفضل حالاً لو لم يلتقياها. مع انها لم ترغب في ايذاء أي منهما... ولكن بوجودها قد سببت لهما كل هذا العذاب. هذا الاحساس كان يدمر حياة جنيفر ويجعلها يائسة ومنهارة.

قال المحقق: «نعم. الشمعدان. ولكن هل أمسكت هذا الشمعدان في تلك الليلة، سيدة يورك؟ لقد رأينا عدة بصمات عليه بعضها لزوجك، كما انه من الواضح ان هناك بصمات للسيد كولهن... والبصمات الباقية... قد تكون لك؟»

نظرت اليهم بحيرة وقالت: «لا أدري، لا أتذكر انني أمسكت به في تلك الليلة. ولكني في الصباح كنت قد قمت بالتنظيف فلا بد اني فعلت ذلك على ما اعتقد.»

«هل تسمحين بأخذ بصمات يديك لمساعدتنا على اكمال التحقيقات؟ وهل تستطيعين القيام بذلك الآن؟»

أخذت هذه الاجراءات بضع دقائق وبينما كانت تنظف يديها همست: «ما الذي سيحدث الآن؟»

قال الرقيب: «سيحاكم السيد كولهن بجريمة القتل.»

قالت وقد اختفى لون وجهها: «لم تكن جريمة قتل، لقد قلت لك لم يرغب في قتله، كل ما كان يفعله ان ينقذ حياة.»

«قد يحدث هذا، فقد يقرر المدعي العام تحويل جريمة القتل إلى دفاع عن الغير، ولكن هذا ليس من شأني.»

تاه فكرها في المستقبل المظلم. سيكون هناك اتهام ضد فيليب ولا بد من محاكمة علنية. وعليها أن تعطي افادتها، وتتكلم عن كل ما حاولت كثيراً اخفاءه. كما وانها

www.elromancia.com

ستتهم حتى ولو لم تكن مدانة... وحتى ولو أعلنت للملأ براءتها. العالم كله سيدينها على أنها خدعت زوجها وكانت السبب فيما حصل في النهاية. وقبلت جنيفر الحكم عليها سلفاً.

لم يلمها أحد كما كانت تلوم نفسها. كان الشعور بالذنب يثقل كاهلها لدرجة انها لم تشعر بوضعها الحالي.

كانت تفكر بداني والدموع تحرق وجنتيها وتفكر انه حبيبها ولم يكن يستحق تلك الحياة ولا تلك النهاية.

الفصل الخامس

أبقيت جنيفر في المستشفى لعدة أسابيع. لم يكن يسمح لأحد بزيارتها في الفترة الأولى بسبب بقائها في حالة من المعالجة القوية من جراء التشويش الذهني والكوابيس التي كانت تعتريها دائماً، وكأنها ما تزال لا تصدق ان الذي حدث حقيقة. فالأمور كانت مختلطة بشكل كبير وكانت تمر بها بومضات مشوشة: من تحطم الطائرة إلى تصرفات فيليب معها، كل هذا مختلط بغضب داني العنيف، المدمر، اللحظة التي علمت فيها بموته، والظلام القاتم الذي سقطت فيه، وكيف عادت إلى وعيها لتجد جثة داني ونظرة الدهشة على وجه فيليب الشاحب.

كل مرة تصل إلى هذه النقطة تجلس في سريرها، تحدق بالفراغ وتلهث بصعوبة وهي تجهش في الصراخ والبكاء.

أحياناً كانت تكره فيليب، وتتمنى لو لم تتعرف إليه اطلاقاً. لن تستطيع أن تسامحه على موت داني. بالطبع لم يقصد ان يقتله. ربما دخل عندما كان داني ممسكاً بها وكأنه يتظاهر بقتلها فتصرف من غير تفكير. المنطق يدعوها أن لا تضع كل اللوم عليه... ولكنها لا تقدر فلو لم يلتقط الشمعدان ويضربه به لربما كان داني ما زال حياً.

أحياناً كانت تصرخ بشكل يدعو الممرضة إلى الحضور واعطائها حقنة مهدئة تعيدها إلى أحلامها وكوابيسها وأفكارها المشوشة.

www.elromancia.com

خلال الاسبوع الثاني بقيت مستيقظة لفترات أطول. كانت تجلس قرب نافذة غرفتها تحدق بالصمت الرهيب. لم تستطع الأكل، فقط تتقبل المهدىء بصمت. لم تستطع التركيز على أي من المجلات والكتب التي أحضروها لها. وفي حال تشغيل التلفاز كانت تحدق به من غير ملاحظة أي برنامج عليه.

وفي احدى الأيام اقتربت الممرضة منها وقالت: «لديك زائرة يا جنيفر. أليس هذا جميلاً؟ عمتك أتت لزيارتك.»

حدقت جنيفر بغموض: «عمتي؟ ليس لدي عمة.»

قالت الممرضة وهي غير متأكدة: «قالت انها عمتك إيلا.»

تغير لون وجه جنيفر: «العمة إيلا!» ولمعت عيناها بوميض من الحياة: «كنت قد نسيتها، فهي ليست عمتي، انها ابنة عم أبي، لكني لم أرها منذ سنين، منذ جنازة والدتي. لكن كيف عرفت انني في المتسشفى؟»

نظرت الممرضة إليها باستغراب وقالت: «هل هذا مهم؟ لقد أتت لتراك، فهل ادخلها؟»

لم تستطع جنيفر تخيلها، وقالت لنفسها انها لو رأتها في أي مكان فلن تستطع التعرف عليها. ولكن في اللحظة التي دخلت فيها الغرفة فوجئت انها عرفتها.

قالت جنيفر وهي تضع ابتسامة على وجهها بينما كانت عمتها تقبلها: «عمتي إيلا، لم تتغيري قط.»

«هذا لطف منك. لكن يا ليتها الحقيقة. لقد كبرت عدة سنوات منذ آخر مرة التقينا.» وجلست على كرسي بجانب السرير، وهي تقول: «كيف حالك؟ تبدين شاحبة. هل يعتنون بك جيداً هنا؟»

هزت جنيفر كتفيها باستخفاف. لم تلاحظ إذا كانت المهدئات تفيدها ولكنها تشعر ان الجميع هنا يحاول التخفيف عنها.

ربتت العمة إيلا على يديها بحنو وقالت: «لقد حضرت عندما قرأت الجرائد، ولكن لم يسمح لي بالزيارة حينذاك.»

الجرائد؟ كل الذي حدث كتب في الجرائد؟ صدمة عنيفة ظهرت في عينيها. لم يخطر ببالها ان الجرائد ستهتم بالقصة. وما الذي كتبته؟ أخذت تقضم شفتيها بعصبية وحزن.

قالت العمة بصوت حنون: «لقد مرت عليك أيام عصيبة، أليس كذلك؟»

ربتت العمة ايلا على يديها ثانية: «لا يا حبيبتي، لا يذهب فكرك إلى البعيد. لست هنا بداعي الحشرية. لن أسألك أي سؤال عما حدث. اهتمامي الوحيد هو أنت. واني ألوم نفسي كثيراً على عدم الاتصال بك منذ وفاة والدك. كما وانني قريبتك، ولقد وعدت والدك ان اهتم بك، غير اني لم أفعل بسبب الخصام الدائم بيني وبين أمك.»

تذكرت جنيفر كم كانت امها تكره العمة إيلا، وكم كانت تقذفها بتعليقات حادة.

تابعت العمة إيلا بصراحة: «لقد كنت مولعة بوالدك وأمك كانت تغار بسبب ارتباطنا الودي. ولكن كل منا تزوج وقد كنا سعداء، غير ان امك لم تثق بي أبداً.» ابتسمت بطريقة عابثة وهذا ما جعل جنيفر تبتسم.

قالت: «كانت أمي صارمة ومتطلبة.»

«اعلم هذا، وكل منا كان يعيش زواجاً سعيداً. ولكن بعد

وفاة زوجي ووالدك اعتقدت ان هذا سيقربنا من بعضنا أكثر، ولكن امك ازدادت امتعاضاً. على كل حال، هذا لا يهم الآن. أنا هنا بسببك. واعلم انك تشعرين بالوحدة. وهذا لن يدوم، أصبح لديك عائلة الآن تعيشين معها.»

همست جنيفر: «هذا لطف منك.»

بقيت العمة إيلا لنصف ساعة تتحدث معها وأخيراً قالت: «عندما تغادرين المستشفى، هل ترغبين بالعودة إلى بيتك القديم؟»

حركت جنيفر رأسها بالرفض بطريقة لا شعورية، فهي لا تستطيع تحمل العيش في الشقة التي كانت تتقاسمها هي ودانيي.

قالت العمة بسرعة: «بالطبع لا. ذكريات كثيرة، كما انك لن تعودي إلى عملك أيضاً.»

تجهم وجه جنيفر من مجرد التفكير بالعودة إلى مكتب فيليب كولهن. ولم تنتظر العمة الاجابة فملامح وجهها كانت كافية.

قالت: «إذاً، انضمي الينا، لقد تكلمت مع الشرطة وهم لا يمانعون في مغادرتك المنطقة، طالما يعرفون مكان اقامتك وتتعهدين لهم بالحضور إلى المحكمة. وكما اخبرتك، أملك متجراً لبيع الاثريات في قرية لا تبعد كثيراً عن سترافور ايفون. هي قرية صغيرة تدعى روشمير. لا يتجاوز عدد سكانها المئتين، ولكن نحظى بكثير من الزائرين، والأمور تسير بحالة جيدة. وإذا كنت ترغبين بالعمل، أستطيع تأمينه لك. بالطبع لن تتقاضين أجراً كبيراً كما كنت تفعلين عند السيد كولهن، ولكن لك كل ما يؤمن حاجيتك، كما انه يوجد

عندي غرفة نوم اضافية في البيت ومرحب بك كثيراً فيها. أما إذا أردت الاستقلال فيوجد شقة صغيرة فوق المتجر تستطيعين السكن فيها. لكن في الوقت الحاضر تعيشين معنا لنتعرف عليك أكثر أنا وغارت.»

«غارت؟»

قالت العمة باستغراب: «إنه ابني لا تقولي انك نسيته؟ انه لا يكبرك إلا بعدة سنوات، بالطبع تتذكرينه؟ فلقد كنت تذهبين للتمشي معه.»

تذكرته جنيفر وابتسمت بشحوب: «بالطبع. كل من كان يرانا، كان يعتقد انه أخي الأكبر لأننا نشبه بعضنا كثيراً.»

قالت العمة: «أجل، فوالدك كان يقسم اننا ننتسب إلى الفايكنغ ولهذا لدينا قامة طويلة، تزوج غارت من فتاة جميلة ولكنها توفيت منذ عامين بسبب مرض في قلبها. كان لديهما صبي صغير، اسمه بول، كان عمره أربع سنوات عندما توفيت والدته. لم يستطع والده العناية به كفاية، لذا انتقل للعيش معي لأهتم بهما معاً. أتوقع ان يتزوج غارت ثانية يوماً ما، ولكن على كل حال بيتي كبير، وبول يبقى في المدرسة طوال النهار واعتقد انك ستحبينه، فانه ولد ممتاز، كما انك وغارت صديقين، أما بالنسبة إلى سكان القرية فانهم لطفاء واعتقد انك ستسعدين هناك.»

شعرت جنيفر بالانبهار. ففي الصباح عندما نهضت من نومها لم يكن لديها أي فكرة ماذا ستفعل عندما تغادر المستشفى. بينما الآن ترى ان مستقبلها أصبح مرسوماً أمامها.

تمتمت ثانية: «أنت لطيفة حقاً.»

نظرت العمة إيلا اليها باهتمام: «إذا كنت لا ترغبين بالمجيء الينا، يا عزيزتي، فما عليك سوى القول، وأنا لن انزعج فانني أقدم لك عرضاً، ولست مجبرة على القبول.»

حرية الاختيار جعل فكر جنيفر يستريح. قالت وهي تبتسم: «انني شاكرة لك ويسعدني الذهاب.»

بعد مضي أيام على اللقاء، سمح لجنيفر بمغادرة المستشفى. اقترحت العمة إيلا احضار اغراضها من الشقة، ولكنها أرادت أن تفعل ذلك بنفسها، لا تستطيع المضي وهي تختبىء من مواجهة كل شيء. الكدمات الظاهرة اختفت والجروح التأمت، حنجرتها لم تعد تؤلمها، وصوتها عاد ناعماً كما انها الآن تستطيع أن تبلع بدون ألم. أما الجروح النفسية فلن تشفى منها أبداً، وعليها أن تتعلم كيف تعيش معها.

توقفت أمام المتجر الرئيسي في البلدة لشراء حقيبتين وبينما كانت تضعهما في السيارة سمعت صوتاً وراءها: «جنيفر؟»

نظرت بتردد إلى الوراء لترى وجه مايغن هوبسن. قالت: «أهلاً!» غمر وجهها الشحوب، وابعدت نظرها عنها. فمايغن تعلم كل شيء الآن، والشركة كلها ستعرف كل شيء عنها غداً. ازعاج مؤلم جعلها لا ترغب في التحدث معها.

«إذاً لقد غادرت المستشفى. حاولت الاتصال بك عدة مرات ولكن كانوا دائماً يمنعون الزيارات. هل وصلتك أزهاري؟»

لم تكن تعلم جنيفر، غير ان الازهار كانت تصلها من كل الناس الفضوليين، حتى تحولت غرفتها إلى محل لبيع الأزهار، لكنها لم تقرأ ولا بطاقة، حتى بالكاد كانت تلاحظ

الأزهار، فهي لم تعد تهتم لشيء. قالت وهي تكذب: «نعم، شكراً. هذا لطف منك.»

قالت مايغن: «لا شيء مهم. لقد صدمت عندما سمعت بالخبر. اني آسفة حقاً، لا شك انك تتعذبين كثيراً، أليس كذلك؟»

«أجل.» ماذا تستطيع الاجابة على هكذا سؤال.

«والمسكين فيليب.» توقفت مايغن عن المتابعة عندما لاحظت الامتعاض على وجه جنيفر، وغيرت الموضوع قائلة: «لنتحدث عنك، أخبريني الحقيقة، كيف تشعرين؟»

قالت بمنتهى الصراحة: «أعيش بلا احساس.» تمنت لو لم تقل الحقيقة، واستدارت باتجاه سيارتها وهي تقول: «اعذريني. عليّ الذهاب، فهناك الكثير من العمل بانتظاري.»

نظرت مايغن إلى الحقيبتين ورمت جنيفر بنظرة لاذعة وقالت: «مغادرة.»

أومأت جنيفر برأسها موافقة.

«لعطلة أم لأجل غير مسمى؟»

قالت جنيفر باقتضاب: «لأجل غير مسمى.»

«متى ستغادرين؟ لما لا نمضي يوماً معاً.»

هزت جنيفر برأسها وقالت: «سأغادر هذه الليلة، وعلي أن أرتب حاجياتي. آسفة يا مايغن.»

وبينما كانت جنيفر تجلس خلف مقود سيارتها قالت مايغن: «اخبرني تيد انك قدمت استقالتك.»

قالت جنيفر: «كيف حاله؟» وتذكرت الحادث المروع الذي أصابه، كيف كان مرمياً بلا حراك. وكثيراً ما كانت

تراه في كوابيسها في المستشفى في الاسبوعين الماضيين. وأحياناً كانت تختلط عليها الرؤية بينه وبين داني، كان يجمعهما الخوف والموت ورؤية فيليب بينهما.

ابتسمت مايغن بحرارة: «انه بألف خير، ولم يكن هناك أي أثر للجرح، حتى ان ألم رأسه المعتاد توقف، ولقد عاد إلى عمله هذا الاسبوع. انه قوي جداً.»

رسمت جنيفر ابتسامة على وجهها وقالت: «حسناً، بلغيه سلامي. عليّ بالمغادرة، آسفة يا مايغن. الوداع.» أدارت المحرك وانطلقت ووقفت مايغن على الرصيف تراقبها.

كانت الشقة مرتبة ونظيفة، فلقد أمضت العمة إيلا يومين في ترتيبها. كل ما كانت تود جنيفر فعله هو ان تحزم حقائبها وتضع كل ما ترغب بابقائه لها في صناديق لتخزينها في شركة نقليات لتقرر ماذا تفعل بها. فالشقة لها وداني منذ أمد طويل وهي تريدها فارغة ليتمكن السمسار من تأجيرها أو بيعها.

بعد مضي ساعات، كانت جاهزة للرحيل، وضعت الصندوق الأخير في السيارة واستدارت لتلقي النظرة الأخيرة. لقد أمضت سنوات هنا، معظمها أيام مرة. وتركها لبيتها تجربة قاسية، ولكنها لم تعد تحتمل البقاء فيه.

نظرت إلى الاشجار في الحديقة، بعض وريقات صفراء ظهرت على أغصانها. لم تمض في المستشفى وقت طويل ولكن الحريق بدا لها قريب جداً، اعترتها كآبة قاسية! لا شيء يدوم، أليس كذلك؟ لا الصيف، ولا السعادة ولا الحياة نفسها.

تنهدت بمرارة ورجعت إلى البيت لتقفل الباب وعادت إلى

السيارة. قبل أن تصل إليها توقفت سيارة خلفها. وبذهول مفاجيء رأت فيليب يخرج منها.

ركضت جنيفر باتجاه سيارتها ولكنه قطع عليها الطريق ليرغمها على الوقوف.

لم تستطع النظر إليه لبرهة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه بنظرات ملأى بالخوف والحزن والألم والذنب وقالت: «اعتقد ان الشرطة قد اعتقلتك.»

«خرجت بكفالة مالية.» صوته كان جافاً منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها، أحست بانعطاف قوي نحوه، وهذا ما جعلها تشعر بالخوف والخجل معاً. كرهت نفسها بسبب احساسها به بهذا الشكل، هل عليها أن تتذكر انه قتل داني؟

همست: «لم أكن أرغب في رؤيتك ثانية!»

لمعت عيناه ببريق من الغضب الصارخ وقال: «كل ما فعلته من أجلك، يا جنيفر. لا تتركيني وتبتعدي الآن.»

قالت وكأنها تلقت مطرقة على رأسها: «من أجلي أنا؟ قتلت داني من أجلي؟ اتعتقد حقاً انني كنت أريده ميتاً؟ لقد كنت أحبه!»

بهت لون فيليب وقال بثبات: «لقد أحببته فيما مضى، ولكنه كان يعذبك لفترة طويلة، وعاجلاً أم آجلاً كان سيقتلك، أنت تعلمين ذلك. أعلم انك تعلمين هذا. جنيفر، الأعمى كان يلاحظ خوفك منه، لقد كنت قلقاً عليك كل تلك الفترة، الجروح الظاهرة على وجهك، نظرة عينيك الحزينتين واجفالك كلما اقترب منك أحداً ما.»

لم تكن تريد أن تتذكر الخوف الذي كان صديقها الدائم طوال السنة الماضية، ولكنها مع هذا لن تسمح له بالتكلم عن

داني هكذا. قد يقول هذا الكلام في المحكمة والعالم كله سيظن ان داني كان مجنوناً أو شريراً أو جباناً، وهذه ليست الحقيقة.

قالت: «انه ليس بهذه الصفات، أنت تجعل الأمر يبدو مريعاً.»

قال: «أليس الأمر كذلك؟ عندما يضرب رجل امرأة بهذه الطريقة...»

انفجرت به: «أنت لا تفهم! داني كان يحبني، لكنه كان تعيساً ومريضاً، انه لم يقصد ايذائي أبداً، أحياناً كانت امور الحياة تقسو عليه فيفقد السيطرة على نفسه، وكأن عاصفة كهربائية تنفجر داخله، كان بالامكان رؤية العنف والغضب في عينيه. لقد كنا سعداء جداً حتى تعرض لذلك الحادث المشؤوم، وفقدنا كل شيء. الحياة صفعتنا على وجهينا، وفقد داني كل أمل، خاصة انه لا أمل أن يكون لنا أطفال، وكان يكره عمله. كان يعيش في عذاب دائم، وأنا...»

انفجرت بالبكاء وأخذ فيليب يراقبها بدقة. كانت عيناه تلاحظان كل تعبير في وجهها وصوتها.

همس قائلاً: «وأنت، يا جنيفر. كان يعلم انك لم تعودي تحبينه، أليس كذلك؟ وهذا ما كان يجعله غاضباً.»

امتقع لون وجهها وأحست بنفسها يضيق في صدرها.

قالت بخشونة: «لا، هذا كذب، إنني أحبه، أحب داني، دائماً كنت أحبه.»

«هل عليك قول ذلك ثلاث مرات لكي اصدقك؟»

اندفع الغضب والندم في كيانها. رفعت يدها لتصفعه ولكن فيليب أمسك بها، لكنها ازدادت غضباً.

«دع يدي!»

تركها وأخذ يتحدث بهدوء: «بالطبع لقد أحببته، ولكن كما قلت الحياة صفعتكما، فلم يعد الرجل الذي أحببته وتزوجت منه. كان يخيفك، لا تستطيعين حب شخص يخيفك هكذا. الحب والخوف من هذا النوع لا وجود له. لقد كنت استمع إليك وأنت تتحدثين إليه على الهاتف، كنت تبدين كطفلة خائفة، محاولة تهدئته، متمنية ان لا يزيد غضبه. وبالطبع كان يعلم كيف تشعرين لا بد انه كان يرى عينيك ويسمع صوتك. كان يعلم، أليس كذلك؟»

لم تستطع أن ترد بكلمة، فكل ما قاله هو الحقيقة، ولكنها حقيقة شاحبة، وكأنك ترى نفسك في مرآة مشوهة. فأنت تعلم ان هذه صورتك ولكن لا تستطع تمييز نفسك.

قال لها: «وكان يعلم بوجودي أيضاً، أليس كذلك؟»

شعرت وكأن سكيناً قد مزق صدرها. صرخت: «ابتعد عن طريقي... دعني وإلا سأبدأ بالصراخ. وتستطيع شرح الأمر للشرطة عن تحرشك بي على الطريق، انك خارج بكفالة، فيستطيعون اعادتك إلى التوقيف حالاً.»

أجاب بصوت خفيض: «عاجلاً أم آجلاً ستواجهين الأمر، يا جنيفر. ألا تعلمين كم ان الأمر خطير لعدم تفكيرك بحقيقة الأمر. لا تستطيعين التظاهر ان شيئاً لا يحدث.»

قالت: «أنا لا أعلم عما تتحدث.» لكنها كانت تعلم وكان قلبها مثقل بالألم والذنب.

قالت جنيفر بصوت جاف: «أريد الصعود إلى سيارتي. ابتعد عن طريقي، من فضلك.»

قال وقد فقد صبره: «هذه الأمور تحدث عادة، ولا

تستطيعين ابقاء اللوم عليك. لا تتركيني الآن، أنا بحاجة اليك.»

لماذا يقول لها ذلك؟ أحست ان كلامه اوقفها في مكانها لتستمع.

قال بهدوء: «السنة القادمة ستكون سنة قاسية وصعبة خلال المحاكمة، بانتظار ما سيحدث معي. قد يدينوني بقتله، وسأعترف انني الفاعل مهما كانت النتائج. قال لي المحاميون ان بهذه الحالة سأحاكم بخمس أو ست سنوات. ولكن مع حسن التصرف قد أخرج قبل ذلك بسنوات. ومع هذا انه ليس اقتراحاً مفرحاً، فلا تجعلي الأمور أصعب ببعادك عني.»

ترقرقت الدموع في عينيها وهي تنظر إليه: «انني آسفة، اعلم انك فعلت هذا من أجلي وانك لم تقصد قتل داني. ولكنك فعلت... قتلته... ولا أستطيع أن أسامحك من أجل ذلك.»

شحب وجهه، وركز عينيه عليها كأنه لا يصدق ماذا تقول. تراجع خطوة وهو يتنفس بصعوبة وقال بصوت مليء بالألم: «لا تفعلي هذا بي، يا جنيفر.» آلمها صوته.

كان قد ابتعد من أمامها. فلم تعد تستطيع التحمل، قفزت إلى سيارتها، أغلقت الباب وأقفلته، قبل أن يمسك به فيليب.

صرخ فيليب وهو يمسك بالباب: «جنيفر، لا تذهبي، لا...»

كانت ترتجف بقوة حتى انها بالكاد استطاعت ادارة المحرك، كي تنطلق. كان ما زال ممسكاً بالباب، محدقاً بها من زجاج السيارة مع انها لم تستطع أن تنظر إليه. انطلقت وهو ما زال واضعاً يده على الباب، منادياً لها وقادت سيارتها بأقصى سرعة.

عليها بالهرب قبل أن يصل إلى سيارته ويلحق بها. كانت لا تريد أن يعرف إلى أين تذهب، فقط الشرطة تعلم ولقد وعدتها ان لا تخبره أو تخبر محاميه بمكان اقامتها، فأي اتصال بها عليه أن يتم فقط مع محاميها.

استدارت إلى طريق جانبية وتوقفت لبضع دقائق. كانت ترتجف بعنف، كانت خائفة ان تصطدم بأحد منذ لحظات. ولم تكمل سيرها حتى استعادت هدوءها. أخذت تقود وعيناها على مرآة السيارة، ولم تلاحظ سيارة فيليب فلقد تخلصت منه.

كانت تتمنى ان تصدق انها تخلصت منه، ولكن لا بد ان تراه في المحكمة. وهناك لن يستطيع التكلم معها لأنه سيكون في قفص الاتهام وحولهما الكثير من الناس. لكنها ستراه وان لم تنظر إليه، ستشعر به هناك معها في نفس الغرفة، تتنشق واياه ذات الهواء. ولا شك سيكون في هذا، عذاب كافٍ لها.

الفصل السادس

بعد مرور ثلاث سنوات، وفي صباح ربيع مشرق، كانت جنيفر جالسة وراء مكتب في متجر لبيع الاثريات حيث تعمل، تراقب اثنين من الزبائن. وقد فهمت من كلامهما، انهما أتيا من اميركا منذ وقت قليل وهم يمران بستراتفورد ليصلا إلى قلعة وارويك، وبينما كانا يستعرضان السلع المعروضة للبيع كانت جنيفر مشغولة بدهان علبة للعرض من الفضة، وهذا عمل مريح وتحبه كثيراً.

قالت المرأة بتعجب وهي تحمل حلية من العصر الفكتوري: «آه، انظر إلى هذه يا رالفي.»

قال: «انها رائعة.» وضع الحلي في كفه وأخذ يتفحصها بحذر، ثم نظر إلى ورقة الثمن عليها. رفع حاجبيه مندهشاً: «لكنها غالية الثمن، خاصة انها صغيرة جداً.»

قالت: «ولكن رالفي، هذا أجمل ما فيها، وبذلك يسهل علينا نقلها.»

وافق قائلاً: «اعتقد انك على حق.» نظر إلى جنيفر متابعاً: «ماذا تسمى هذه الأشياء، يا آنستي.»

قالت جنيفر باهتمام وهي تنضم اليهما: «انها هدايا للأفراح، كانت تباع في المعارض في العصر الفكتوري وكانت تقدم للعروس كهدية ليوم زفافها.»

قال الزوج مقدراً القطعة النادرة: «العصر الفكتوري. آه؟ هل تعلمين بالضبط في أية سنة صنعت؟»

قالت جنيفر: «سنة ١٨٧١، ولدينا مجموعة كبيرة، كما ترى ولكن هذه هي الاقدم، ولهذا فسعرها الأغلى.»

قال الزوج: «يمكنك التأكد ان زوجتي لا تختار إلا الأغلى ثمناً.»

قالت جنيفر: «لديها ذوق رائع.» ضحكت الزوجة وابتسمت لها.

قالت الزوجة: «معك حق. اخبريه، على كل حال، هل صناعة الحلية محلية؟»

«لا، في الحقيقة هذه الحلى مصنوعة في المانيا وليست في انكلترا.» اجبرها صدقها أن تعترف بذلك حتى ولو خافت أن يضطرا إلى عدم شرائها، خاصة إذا كانا يرغبان بقطعة محلية النصع، كتذكار.

تغيرت سحنة الرجل، ولكن إلى اهتمام أكثر بالموضوع: «انك تمزحين بلا شك! حسناً. ماذا تعرفين عنها. أجدادي من المانيا ونحن سنزور المانيا يوماً. أين في المانيا صنعت هذه الحلى؟»

أعطته جنيفر معلومات مختصرة عن المصنع الالماني، الذي لا يضاهي بشهرته مصانع أخرى، وبعد أن سمع بانتباه قال: «سنأخذه.» وسحب من جيبه بطاقة مالية وتابع: «اعتقد انكم تتعاملون بالبطاقات المالية؟»

قالت جنيفر بفرح لأنها أتمت الصفقة: «بالطبع نفعل.» بعد مرور خمس دقائق كانت توصل الاميركيين إلى الباب وهي تفكر أن عليها اغلاق المتجر للغداء بعد رحيلهما.

قالت: «أتمنى لكما رحلة سعيدة.» بينما كانا يبتعدان وكانت على وشك الاستدارة لتدخل المحل عندما انحرفت سيارة وكادت أن تصطدم بشاحنة قادمة من الاتجاه المعاكس. صوت المكابح جعل جنيفر والسائحان ينظرون بتعجب، لكن جنيفر صدمت وشحب وجهها عندما رأت وجه السائق.

وبسرعة قصوى أقفلت باب المتجر بالمفتاح، وأغلقت الستائر وانتشلت حقيبتها من المكتب واتجهت صوب الباب الخلفي لتخرج منه إلى الحديقة. وقبل أن تفعل سمعت طرقات على الباب: «جنيفر... جنيفر... دعيني أدخل! أنا مايغن!»

ترددت بين رغبتها في الرحيل ومعرفتها أن مايغن ستعود ثانية، وببطء استدارت واتجهت نحو الباب الرئيسي وفتحته.

لم تتغير مايغن خلال السنوات الثلاث، نظرا إلى بعضهما بصمت للحظات، ثم قالت مايغن: «عندما رأيتك أصبت بصدمة حتى كدت أرتطم بشاحنة قادمة، كانت مفاجئة لي، ولكنني عرفتك. آه جنيفر كم أنت شاحبة وضعيفة. لا شك أنك فقدت الكثير من وزنك، أليس كذلك؟»

«انني بصحة جيدة.» قالت ذلك بصوت هادىء وتابعت: «اخبريني عن تيد هل هو بحالة جيدة؟»

«انه بخير، كلانا بخير.»

قالت جنيفر بعناد لتبقي الحديث بعيداً عن ذكر فيليب: «والأولاد هل هم بخير؟»

«انهم بخير، آه يا جنيفر.»

حاولت جنيفر أن تخفي اضطرابها فقالت: «لا شك انهم كبروا الآن.»

«هذا حال الأطفال، النمو. أحياناً أفكر، انني لا أفعل شيئاً سوى شراء الأحذية الجديدة لهم.» توقفت مايغن ونظرت إلى جنيفر نظرة فيها استخفاف وقالت: «آه، اعتقد ان هذا سخيف. هل سنتابع حديثنا عند عتبة الباب، هل أدخل ونتحدث؟ أو تخرجين معي لتناول الغداء في مكان ما. بالطبع تعرفين مطعماً هنا نستطيع أن نتناول طعام الغداء فيه!»

ماذا تستطيع جنيفر أن تفعل سوى الموافقة؟ ذهبا إلى مطعم يو تري. كان مطعماً قديماً بني في القرن السابع عشر، سطحه منخفض وأرضه الحمراء تكاد لا تستطيع النظر إليه، النوافذ صغيرة جداً لدرجة انك تصطدم بها كلما تدخل هناك. مكان الجلوس كان مزدحماً بالناس وله شكل غير مرتب ولكنهم يقدمون طعاماً رائعاً. طلبتا الغداء وأحضر لهما بسرعة، قطع كبيرة من الخبز البلدي، جبن شهي، كمية من المخللات، وصحن سلطة من البندورة والخس والبصل الأخضر.

«طعام شهي.» قالت مايغن وهي تحتسي كوباً من عصير البرتقال: «هل تأتين دائماً إلى هنا للغداء؟ يبدو وكأنهم يعرفونك.»

«عادة أتناول طعامي في غرفة خلفية من المحل، ولكن أحياناً أتناوله هنا.» قطعت الجبن ووضعته في صحنها بطريقة عصبية وتابعت: «ماذا تفعلين هنا يا مايغن؟ هل أنت في زيارة؟ هل تيد معك؟»

قالت مايغن: «لا، انه مع الأولاد في البيت، أنا هنا للاهتمام بابنة أختي الصغرى، ترايسي، بسبب وجود أمها في المستشفى للولادة، وهي تعيش في وارويك، في الشارع المقابل لهذا، ولقد أخذ صهري تريسي إلى المستشفى لرؤية أمها. لذلك خرجت للتنزه في الهواء المنعش ورؤية المنطقة، ولم أصدق عيني عندما رأيتك أمام المحل، لكن منذ متى تعملين هنا؟»

قالت: «منذ تركت منطقة الشمال. صاحبة المتجر قريبتي، وأنا أعيش في شقة في الطابق الأعلى.»

قالت مايغن وهي تقطع الجبن: «أنت هنا طوال الوقت، ونحن كنا نفكر أين ممكن أن تذهبي. فيليب دائماً يسأل عنك.»

أحست بسماع اسمه وكأنها تلقت صفعة. كانت تتوقع أن تذكر مايغن اسمه. ولكن هذا لم يمنعها من الاحساس بتزايد ضربات قلبها وقالت: «اعتقد أنكما، انت وتيد، ما زلتما على علاقة مع... معه؟ كيف... كيف حاله؟»

نظرت مايغن إليها بغضب وترددت قليلاً قبل أن تقول باندفاع: «لا أدري ان كان علي تحذيرك ولكنه، سيخرج قريباً في أي يوم.»

صرخت جنيفر وقد شحب وجهها: «ماذا؟» وبالرغم مما حدث معها فلقد كانت تبدو أصغر بكثير من عمرها، وإذا رآها أحد ما في الطريق يظن انها في الثامنة عشر من عمرها.

انها الآن في السابعة والعشرين، ونظرة قريبة منها ترى ظلال هذه السنين في عينيها الحزينتين.

همست: «فيليب، سيطلق سراحه لقد حكم عليه بثلاث سنوات.»

لقد مر عاماً ونصف فقط منذ التقت فيليب كولهن في قاعة المحكمة لآخرة مرة، في يوم من أيام الصيف. كانت كل النوافذ مفتوحة، ومروحة في سقف الغرفة تعمل على تبريدها، ولكن الرطوبة الخانقة والحرارة كانت تثقل عليها.

تذكرت كل التفاصيل، لقد حاولت جاهدة أن تفكر في تلك الأيام التي أمضتها في المحكمة ولكن في الأحلام لا تجد نفسها إلا هناك، تعيش ثانية مرارة إخبار كل هؤلاء الغرباء عما حدث معها، أسرار حياتها، أموراً لم تفكر باخبارها لأحد. كان من الصعب جداً أن تخبرهم عن حالة داني، عن مرضه، والعنف الذي كان ينتابه، وان تتحدث في المحكمة عن معاناتها لخسرانها الطفل، ضعف داني واحساسه المدمر بذلك. لم تكن تجيب على معظم الأسئلة ولكن محامي فيليب كان يجبرها على الاجابة.

كانت عيناها مسمرتين على المحامي الذي يسألها. لم تنظر مرة باتجاه الرجل في قفص الاتهام، ما عدا مرة واحدة، في أول المحاكمة، عندما طلب منها التعرف إليه.

نظرت إليه نظرة سريعة، من دون أن تلتقي بنظراته، ثم نظرت إلى المحامي لتقول انه من قتل زوجها.

بعد ذلك لم تنظر إليه ولا مرة، ولكن كانت تشعر بعينيه تحدقان بها، لم يبعد نظره عنها قط. كان يحدق بها بقسوة، وبالرغم من حرارة الجو الخانقة كانت ترتجف

من البرد. مرة أو مرتين أحست بالضعف والدوار، ولقد قدم لها كوباً من الماء وسمح لها بالجلوس ريثما تنهي افادتها.

بقيت في المحكمة لتسمع الحكم النهائي، اقترحت عليها العمة إيلا أن يغادرا، ولكن جنيفر أرادت البقاء. لم تستطع المغادرة من دون أن تعرف ماذا سيحدث له. وعندما صدر الحكم، شحبت جنيفر وكاد يغمى عليها. شعرت بالحزن أكثر من السجين نفسه. فالعقوبة كانت ثلاث سنوات. ثلاث سنوات من حياته في ظلام السجن.

أمسكت بها العمة إيلا لتساعدها على الخروج، وأحست بفيليب يراقبها. شعرت وكأنه يطلب منها أن تنظر إليه. لم تستطع المقاومة. فنظرت إليه. وعبر القاعة كلها التقت عيناهما. ما زالت تذكر تلك اللحظة وكأنها البارحة: أزيز المروحة، همسات الناس، وعيني فيليب، بنظرتهما الحادة النافذة إلى داخل قلبها.

في تلك اللحظة، عاشت أغرب ارتباك. فلقد تبخر كل شيء في القاعة لم يبق فيها غيرها وفيليب. مسمرة بالنظر إليه كانت تغوص في بحر من الذنب والخجل والندم، وكأنها تقول لنفسها هي من يجب أن يكون في قفص الاتهام يواجه العقوبة. فالذنب كله ذنبها وهو ليس في هذا الوضع لولاها.

وضعت العمة إيلا ذراعها حول كتف جنيفر وقادتها خارجاً، ولكن فيليب خرج معها، بقي في فكرها، وكثيراً ما حاولت أن تبعده عنها ولكنه بقي معها، منذ تلك اللحظة.

نظرت إلى مايغن بعينين ذاهلتين: «لم يمض على سجنه ثلاث سنوات. لن يطلقوا سراحه، بالتأكيد!»

قالت مايغن بوضوح: «المتهمين لا يمضون كل العقوبة في السجن في هذه الأيام، كما ان فيليب كان له سلوك حسن، وهو سيخرج بوعد شرف وان حافظ عليه لن يعود ثانية إلى السجن.»

لم تصدق جنيفر انه سيخرج قريباً، وشعرت بجفاف حلقها فتناولت كوباً من المياه المعدنية وشربته، محاولة أن تفكر ماذا تريد أن تخبرها مايغن، وقالت: «بهذه السرعة؟»

قالت مايغن بصوت خفيض: «عليك أن تعلمي، يا جنيفر، انه ما ان يخرج حتى يبحث عنك. بالطبع تعلمين ذلك؟»

زاغت عينا جنيفر وقالت: «انه لن يفعل!»

أجابتها مايغن بقلق: «لقد اخبرني تيد انه كلف تحرٍ خاص للبحث عنك.»

قفزت جنيفر من مكانها: «تحري؟» كانت تشعر بالرعب وتابعت: «مايغن لا تخبريه عن وجودي! عديني انك لن تفعلي، حتى ولا لتيد.»

ملامح الرفض بدت على وجه مايغن وقالت بصوت باد: «ألا تعتقدين انك مدانة لفيليب برؤيته؟»

قالت جنيفر باضطراب وهي تهم بالخروج: «لا أستطيع، آسفة، ولكني لا أستطيع رؤيته.»

سارت جنيفر باتجاه الشارع بينما تبعتها مايغن ووضعت يدها على ذراع جنيفر وكأنها تجبرها على

الوقوف. وقالت: «لن أخبره إذا كان هذا ما تريدينه، ولكن عليّ تحذيرك. لقد اخبرني تيد انه مجنون بالبحث عنك، ولا اعتقد انه سيكف عن هذا حتى يجدك. جنيفر لقد دفع فيليب ضريبة كبيرة للحفاظ على حياتك... لما ترفضين رؤيته؟»

نظرت جنيفر إليها وكأنها غير مصدقة: «أليس الأمر واضحاً؟ مهما فعل... لقد قتل زوجي! هل تظنين انني سأتقبل الأمر وهكذا بكل بساطة؟»

«لقد كان مجرد حادث، ولولاك لكان فيليب طليقاً. ولقد أخبرني تيد انه تغير كثيراً، لقد أصبح أشد قساوة ومرارة مما كان. فالسجن لم يكن أمراً سهلاً عليه.»

أحنت جنيفر رأسها وهي تقول: «أعلم. بالطبع أنه ليس بالأمر السهل.»

وصلا إلى متجر الاثريات. نظرت مايغن إليها وبتردد قالت: «يعتقد تيد ان غضب فيليب هو بسبب ادانتك ضده.»

«كان علي ذلك.»

«اعلم هذا، ولكنه يعتقد انك توجهين اللوم عليه، لم تزوريه مرة ولم ترغبي أن يعلم أحد مكانك. طوال المدة التي كان يزوره بها تيد، كان فيليب يتعذب، يشعر بالأسى، ولا ينفك يسأل عنك. تيد يفكر ان فيليب يطيل التفكير بك عندما يكون بمفرده، فلقد كان يتوقع منك زيارة، أو الوقوف إلى جانبه. لقد ساءه جداً أن تبتعدي هكذا.»

كان هذا صدى لسؤال يثير حشرية مايغن. فخلال المحاكمة، كان من الواضح جداً أن معظم الناس يفكرون ان

هناك سر ما بينها وبين فيليب، فالجميع كانوا يحدقون بها، يتهامسون عليها، يلاحقونها أينما تذهب، يتساءلون عن طبيعة معرفتها بفيليب.

خلال تلك الأيام كانت ملاحقة دائماً بالصحافيين، تفاجئها الأنوار أينما تذهب، عندما تخرج إلى الشارع، كانت الأسئلة تنهال عليها مما يجعلها تضطرب وتجفل، لم يكن لديهم أي احساس أو شفقة، بل كان يروق لهم عذابها.

كانت مثار تعليقات وانتقادات في كل المقالات التي قرأتها، لم يتجرأ أحد ويكتب ان فيليب أراد أن يبعد داني عن طريقه خوفاً من الملاحقة القضائية، ولكن مما لا شك فيه أن لا أحد كان يريد أن يصدق ان ليس هناك سر بينها وبين فيليب وهذا ما كان يغيظها، وما زال.

أحياناً كانت ترتجف من الغضب عندما تفكر بأقاويل الناس.

أحد الصحافيين قال لها مرة: «الناس سيقولون لا وجود للدخان بلا نار، وأنت تعلمين هذا. اخبريني الحقيقة وساقف إلى جانبك.» والأسوأ من كل هذا انه بالرغم من عدم ارتباطها بفيليب كان هناك شرارة مختبئة في كل هذا الدخان، وهذا ما يجعل الأمر صعب عليها.

قالت بعصبية ظاهرة: «أزوره؟ أنا أزوره في السجن؟ إذا كان يعتقد ذلك، فلا بد انه أصيب بمس من الجنون. لقد قتل داني!»

قالت مايغن بصدق: «لكنه لم يرد ذلك، يا جنيفر! كان يحاول انقاذ حياتك، دخل ورأى زوجك يخنقك فالتقط أول

ما صادفه وضربه به، كان ذلك تصرفاً عفوياً. مجرد حادث. لم يقصد قتله قط.»

قالت جنيفر: «لكنه فعل، آه. أنا أعلم بما تفكرون جميعاً. لكنها ليست الحقيقة، لم يكن هناك شيء بيني وبين فيليب هالكوم كنت أعمل لديه، لم نكن صديقين قط. كنت أحب زوجي، وفيليب قتله. أزوره في السجن؟ أنا لا أرغب برؤيته مطلقاً.»

قالت مايغن وكأنها تدينها: «هذا ليس عدلاً، ألا تشعرين بالأسى تجاه فيليب المسكين؟ بعد كل ما حدث له بسببك؟ وبالمطلق فهو رئيس عمل رائع كما وانه صديق جيد. دعيني أخبرك... لم أصدق أي من الشائعات عنك وعن فيليب، لأنني أعرفكما جيداً، وأعلم انها أكاذيب. كما انني أعلم كم كنت مخلصة لزوجك. وأتذكر كيف أصبح عنيفاً في بيتنا. كل من عرفه كان يعلم انه كان مريضاً، ويشعر بالأسى تجاهك، ولكن مع هذا كنت أرى بوضوح مدى حبك له وتعلقك به. ولكن، في الحقيقة، لأنك تحبينه تظاهرت بانه لم يكن يحاول قتلك. تصرفت كالنعامة وأخفيت رأسك كي لا تواجهي الحقيقة.»

قالت جنيفر وهي تضع يديها على أذنيها كي لا تسمع المزيد: «لا أصدق كلمة من هذا.»

قالت مايغن: «التقرير الطبي كان ادانة كافية له، يا جنيفر، لا تستطيعين انكار ذلك.»

قالت: «لقد أمسكني داني من حلقي، لكنه لم يرد قتلي، لقد فعل ذلك من قبل. ما كان على فيليب أن يضربه بهذه القوة.»

صدر عن مايغن صوت ينم عن الرعب والشفقة معاً وقالت: «لقد فعل ذلك من قبل؟ آه يا جنيفر، كم مرة حدث هذا؟ كم مرة حاول قتلك؟ وأنت ما زلت تقولين انه كان يحبك!»

قالت جنيفر بحدة: «كان داني يحبني، يا مايغن، لو انك عرفته قبل الحادث. كان مليئاً بالعاطفة والحنان والحب، صديق رائع. البقاء معه كان أمراً مفرحاً وكان زوجاً رائعاً أيضاً. كل هذا تغير بعد الحادث. أعلم انه كان عنيفاً، أحياناً كنت أفكر انه يكرهني لأنني بصحة جيدة وهو مريض... ولكن لم أشك قط انه حتى تحت هذه الظروف، كان ما زال يحبني.»

أصغت مايغن لها بتركيز وقالت: «أنت وفية بالمطلق، وهذا يدهشني جداً. أتمنى لو انني أكون بهذا الوفاء لزوجي تيد، إذا حدث هذا معنا. حسناً لن أضيف أي كلمة. ولكن فيليب سيتابع البحث عنك حتى يجدك. إسمعي، إذا كنت حقاً لا تريدين رؤيته، فعليك بالانتقال من هنا، لأنني علمت من حديث تيد ان هاجسه الوحيد ايجادك، وأنا لا أريد أن تتعرضي للأذى ثانية.»

نظرت جنيفر اليها نظرة ذاهلة.

تابعت مايغن: «فكري بالأمر.» ثم نظرت إلى ساعتها: «عليّ الذهاب، يجب أن أعود إلى البيت قبل أن يعود صهري من المستشفى. اسمعي، اعطيني رقم هاتفك، سأتصل بك في اللحظة التي يكون لدي معلومات جديدة.»

قالت جنيفر: «شكراً لك، يا مايغن.»

عانقتها وانصرفت بينما دخلت جنيفر إلى المحل ببطء.

كانت أفكار تدور من الصدمة. سيخرج فيليب قريباً من السجن... سيصبح رجلاً حراً ثانية. لكن هي لن تعود لها حريتها أبداً. فلقد دخلت إلى السجن منذ موت داني وما زالت فيه ولا أمل لها مطلقاً باطلاق سراحها.

حوادث تلك الليلة قد طبعت في ذهنها من نواحي مختلفة ولو لم تكن ظاهرة للعيان.

أغمضت عينيها، وتنهدت من أعماقها بينما كانت تفتح المتجر. وبعد مرور فترة كانت تتنقل في المتجر، تلتقط بعض التحف وتحدق بالبعض الآخر، تحاول أن تفكر بوضوح. هل حقاً مضى ثلاث سنوات على موت داني، وسنة ونصف على دخول فيليب السجن؟ الوقت مضى بسرعة قصوى.

ماذا فعلت منذ غادرت منطقة الشمال؟ لا شيء يذكر. وكأنها دفنت في الظلام، منتظرة فرصة ما لتنطلق إلى النور. لقد مرت السنوات بها من غير أن تحسب الأيام.

والآن فيليب سيعود حراً، حراً ليبحث عنها. أصابها الرعب حتى شعرت انها بالكاد تتنفس. هل مايغن على حق؟ هل حقاً يريد رؤيتها؟ بعد كل هذا الوقت؟ لقد مضى وقت طويل على آخر مرة التقيا بها. بالطبع لقد نسي كل شيء عنها.

هل نسيت كل شيء عنه؟ سألها صوت بارد من داخلها، وكانت تعلم انها لم تفعل. وكيف تنساه؟

كانت تتمنى لو تستطيع. لقد حاولت كثيراً أن تفعل، لكنها تفكر انه يريد أن ينسى أيضاً، بالطبع، فهي كانت كابوساً في حياته، شخص يود أن يتخلص منه.

ثم تتذكر كيف كان ينظر اليها في قاعة المحكمة.

مجرد التفكير بذلك يجعل قلبها يخفق بسرعة، وما تزال تحلم بتلك اللحظة ليلة بعد ليلة. فلقد أصبحت ملازمة لها، ولكن هل هي المسؤولة عن احساسها وكيف تتعامل مع اضطرابها القديم؟

أحاسيسها كانت تعيش في أعماقها كحية تلتف حول قلبها وفكرها. وكلما حاولت الاقتراب من الواقع كانت تتجنبها. فالذنب بموت داني كله اختلط باللوم على فيليب. فالأمر المخيف انه عندما ضرب فيليب داني كان يتمنى موته، والمرعب أيضاً انها كانت ترغب بابتعاد داني عن حياتها. فهي كانت تريد أن ينتهي كل شيء.

توقفت عن ذهابها وايابها في المتجر من دون هدف أمام ساعة كبيرة، كان غارت، ابن العمة إيلا، يعمل على اصلاحها. حدقت بالساعة محاولة التفكير بها وبغارت.

لقد كان جيداً في تصليح الساعات القديمة، وإذا كان الأمر معقداً جداً كانوا يأتون بشخص أكثر خبرة منه. أما هذه الساعة فقد كانت في صندوق رائع الجمال، نوع خشبه يجعله يلمع من وهج الشمس وكأنه مصنوع من الجواهر. كما كانت جنيفر تحب لون طلائه أيضاً أما عقارب الساعة فيه فلقد كانت من الحديد المصقول. نظرت إلى الساعة، كانت تقارب الساعة الثانية، تعجبت من ان الوقت ما زال باكراً هكذا، لكنها شعرت بالقلق... أين هي العمة إيلا؟ كان عليها أن تكون هنا الآن.

بعد مرور لحظات، دخل غارت مسرعاً إلى المتجر وهو يحمل بين يديه صندوقاً كبيراً ويبتسم لها.

«لقد أجادت أمي عملها في المزاد العلني. لقد نجحنا بالحصول على بضائع بأسعار رخيصة جداً... لم يكن هناك الكثير من المشاركين، فلقد ذهبوا جميعاً إلى العرض الكبير في غرينوش هول راغبين في الحصول على بورسلين غرينوش ومجموعات من الكريستال.» وضع الصندوق على الطاولة وأخذ يمعن النظر في داخلها، من غير أن يلاحظ شحوب وجه جنيفر ولا ذهول الصدمة في عينيها فلقد تابع قائلاً: «مجموعة رائعة من الفضة لتوضع على الطاولات، انها فاقدة لمعانها، ولكن قريباً سنعيد طلائها. وبعض اطارات الصور معظمهم ذات صناعة حديثة. والآن، ما رأيك بهذا؟»

وأخرج من الصندوق مرآة يد لها اطار نحاسي أصفر، أخذتها منه وقالت: «انها رائعة.»

«أليست كذلك؟ هل تعتقدين انها مصنوعة حديثاً؟ أمي تعتقد انها كذلك، ولكننا لا نعلم مصدرها ولا يوجد تاريخ عليها، كما واننا لم نعلم اسم الذي صنعها. وأعتقد أنها مصنوعة في القرون السابقة.»

وبأصابع مرتجفة لمست جنيفر الاطار المتموج وقالت: «من الممكن ولكن لدي احساس انني رأيت شيئاً مثل هذا من قبل، انه صناعة اوسترالية على ما اعتقد، مصانع فاينيس، ولكن بالتأكيد انه ليس محلي الصنع.»

هز غارت رأسه موافقاً. فلقد أصبح لجنيفر معلومات وافية عن الاثريات خلال هذين العامين وقال: «هذا ما قالته أمي أيضاً.»

لقد أعطت العمة إيلا جنيفر العديد من الكتب عن الاثريات

وكانت تخبرها عن كل ما يدخل إلى المتجر من بضائع وعن كل ما تعرفه من زياراتها إلى المتاحف والمعارض التي تحدث في بريطانيا. كما ان جنيفر قد أخذت دروساً مسائية في استعراض البضائع المعروضة وكيفية اكتشافها والسؤال عن هذه البضائع ولو بطرق غريبة.

لم يكن لديها المال الكافي للتوفير. ولكنها كانت تجمع تحفاً دقيقة تضعها في خزانة في شقتها. والذي كانت تعتبره عملاً لها في البداية أصبح هواية لها ثم أصبح نوعاً من الولع بعملها.

هذا نوع من الولع كانت تتشارك به مع غارت والعمة إيلا، فشراء وبيع الاثريات كان عملهم. ولكن كان يعني لهم أكثر من ذلك بكثير.

كان غارت أكبر من جنيفر بسبع سنوات، ولكن كان يبدو أكبر منها بكثير. فوفاة زوجته جعلته ينضج بسرعة وجعلت عينيه ممزوجتين بالحزن الدائم. كانت تعلم جنيفر انه ما زال يحن لذكراها. أما ولده الصغير، بول، فقد أصبح الآن في التاسعة من عمره وقد تخطى الحزن على وفاة والدته. فهو يحب جدته كثيراً، لأنها أعطته الراحة والثقة، وإذا كان يفتقد لوالدته فهذا لا يظهر عليه بتاتاً. فهو دائماً فرح ومفعم بالحياة.

كانت جنيفر تفهم غارت جيداً، وكانا يشبهان بعضهما كثيراً حتى ان كل من يراهما يعتقد انهما أخ وأخته، فلهما ذات التعابير، وذات الابتسامة منذ وفاة زوجته ومعظم اهتماماته كانت بناء مرآب ضخم خاص به في ضواحي ستراتفورد. ومن وقت لآخر كان يساعد امه في

المتجر، اذ كان يسعده ان يذهب معها إلى المزادات. غير ان فرحه الأكبر هو الاعتناء بابنه بول. كان غارت محباً ومليئاً بالحنان، ولكن كان هناك جرح عميق في قلبه. فهو لم يتوقف عن الحزن على زوجته. وقد يستمر في الحزن عليها، فلقد كان مخلصاً لها بعناد قوي. فإذا خرجوا معاً إلى السينما أو إلى العشاء بمكان ما أو تبادلوا أحاديث مفرحة ومضحكة، كان يتوقف فجأة وكأنه لا يحق له الاحساس بالفرح. وبهذا أيضاً كان متشابهاً مع جنيفر.

فالحزن كان صديقها الدائم أيضاً، فمنذ ثلاث سنوات وهي لا تشعر إلا بالحزن والذنب.

أخذ غارت المرآة من يدها وتفحصها قائلاً: «ولكن كيف تعرفين انها صناعة حديثة؟ أظن انك على حق.» وتابع: «كيف كان نهارك، هل بعت شيئاً ما؟»

قالت ببطء وهي تجمع المال في الصندوق بصعوبة، إذ كانت تفكر بما قالته لها مايغن: «بعض الأواني الفخارية، مجموعة من الملاعق الفضية وواحدة من الهدايا ذات العهد الفكتوري.»

قال غارت: «لا بأس، عمل رائع يا جنيفر.» فتح الباب فجأة واهتز الجرس، فوضع غارت المرآة وأسرع لمساعدة والدته بحمل صندوق كبير من يديها وهو يقول: «تعتقد جنيفر انك محقة بشأن المرآة، وأنا أيضاً أوافقك الرأي ان عاينتها جيداً.»

رمت العمة إيلا بنفسها على كرسي ضخم وهي تقول: «بالطبع أنا محقة، ولكنها في الحقيقة، صفقة رابحة. لقد

حصلت على حصان نحاسي أصيل وعلى مجموعة كاملة من النحاسيات. آه جنيفر هلاّ وضعت ابريق الشاي على النار؟ أكاد أجن من أجل فنجان من الشاي.»

استدارت جنيفر لتضع ابريق الشاي عندما نظرت العمة إيلا اليها بنظرة فيها كثير من القلق: «ما بك عزيزتي! تبدين شاحبة... ما الذي يزعجك؟»

نظر غارت إلى جنيفر بامعان، ثم قطب حاجبيه. نظرت جنيفر اليهما بينما ترقرقت الدموع في عينيها.

«أرجوك. ما الأمر؟» سألها غارت برقة وحنان.

قالت بصوت أجش: «لقد اتصل بي أحدهم، واخبرني ان فيليب كولهن سيطلق سراحه غداً صباحاً.»

قالت العمة: «بهذه السرعة؟»

أومأت جنيفر برأسها ثم تابعت بسرعة: «لا أستطيع البقاء هنا، لقد وعدتني مايغن انها لن تخبره أين أنا، ولكنني لا أثق بها، لأنها هي من أخبره انني غادرت المستشفى عندما قابلته آخر مرة. أنا أعلم ذلك. انها تحبني ولكنها في النهاية إلى جانبه. عليّ الرحيل قبل أن يجدني هنا.»

• • •

غادر فيليب كولهن بوابة السجن العريضة وتوقف فجأة لينظر نظرة واسعة إلى العالم الذي لم يره طوال سنتين.

قال الحارس: «انهم يفعلون دائماً ذلك.» وهو يقفل الباب الذي فتحه له. كان يتحدث مع حارس جديد بدأ العمل في السجن منذ اسبوع.

قال الحارس الجديد مفكراً بصوت عالٍ: «انك تظن انهم لن يتوقفوا قبل ان يقطعوا مسافة بعيدة من هنا.»

الحارس القديم لم يجب. فقد كان مشغولاً بمراقبة السجين، الذي كان يتنهد بعمق. كان يوماً بارداً، مليئاً بالضباب والشمس تختفي وراء الغيوم بعيدة في السماء.

حدق السجين في الأفق بشغف، وأخيراً حصل على حريته في الذهاب إلى حيث يريد. النظر إلى الأمور من خلال احساس جديد لم يشعر به منذ فترة طويلة. كان يبدو عليه انه فقد الكثير من وزنه.

لم يكن هذا هو التغير الوحيد الواضح عليه، فقد كانت هناك خيوط فضية على صدغيه لم تكن موجودة مطلقاً قبل ذلك.

كان يبدو عليه الشحوب، شحوب انسان سجين، لا يبدو عليه أي وميض من الحياة التي كان يعيشها تحت نور الشمس والهواء المنعش. فلقد كانت تعابير وجهه قاسية وصارمة.

قال الحارس الجديد: «يبدو انه شخص قاس وصارم.»

قال الحارس القديم وهو يضحك: «أقسى مما كان عليه عندما دخل إلى هنا. على كل حال، لم تكن أوقاته سهلة في بادىء الأمر. فلقد كان عرضة لمضايقات رجال السوء هنا. ولكن عندما علموا انه لا يهتم لهم تركوه وشأنه.»

اقتربت سيارة سوداء. وخرج منها رجل أصلع الشعر قليلاً وآثار جرح باد على جبهته. وقف بصبر منتظراً وصول السجين.

فجأة، لمحه فيليب هالكوم، ابتسم له وتقدم نحوه مصافحاً إياه.

قال: «شكراً لقدومك، يا تيد.»

قال تيد هوبسون وهو يصافحه: «شكراً على سلامتك.» وأخذ يبحث في وجهه عن ملامحه الصارمة وشدة لمعان عينيه. تابع بفرح: «كيف الحال، يا فيليب؟ تبدو بحالة جيدة، لقد فقدت الكثير من وزنك، ولكن هذا يناسبك.»

«انني بألف خير.» قال هذا وصعد إلى السيارة بينما اتجه تيد إلى المقعد الآخر، وأدار المحرك لينطلقا.

قال: «لقد حضرت مايغن طعاماً خاصاً للعشاء، نتمنى أن تنضم الينا هذا المساء.»

أحس فيليب بالامتنان وقال: «انه لأمر رائع منكما، ولكن ان لم يكن لديك مانع أرغب في الذهاب إلى البيت، وسأعتبر نفسي مدعواً إلى العشاء عندكم يوماً آخر. أبلغ تحياتي إلى مايغن. لكن اليوم علي الاتصال بوكالة الاستعلامات التي أتعامل معها. اعتقد ان لديهم معلومات عنها أو قد وجدوها.

لمعت عينا تيد بالقلق وقال: «اسمع، اعلم انني أتكلم بأمر لا يعنيني، ولكن عليّ قول هذا، لا تبحث عنها يا فيليب. فلو لم تلتق بها، لم يحدث لك شيئاً من كل هذا. والآن لقد استعدت حريتك، فاستعد حياتك وارم كل شيء عنها خلفك، لما لا تكون منطقياً، وتنسى انك تعرفت إليها يوماً.»

حدق فيليب في زجاج السيارة، بوجه متقد وعينان تلمعان بقسوة.

قال بصوت خفيض بالكاد يسمع: «انساها؟ لا يا تيد، لقد انتظرت ثلاث سنوات طوال لأعثر عليها، وسأعثر عليها ولو كلفني ذلك بقية حياتي.»

الفصل السابع

كانت جنيفر تجز المرجة الخضراء عندما سمعت محرك سيارة قريب من الكوخ. تجمدت في مكانها، وأوقفت الجزارة واقتربت من السياج المغطى بالورد البري والزعرور. كانت أعصابها مشدودة حتى تبين لها ان غارت هو الذي في السيارة.

أوقف السيارة وأخرج صندوقاً كبيراً منها، مغطى بالأطعمة والخضار. كانت سعيدة بحضوره، فلقد نقص عندها الكثير من المؤن.

قابلته على البوابة، واقتربت منه شاكرة وهي تقول: «يسعدني ان يكون لي أصدقاء! ألا ترى انه يوم رائع الجمال؟ قل لي. ماذا أحضرت معك؟»

نظر اليها قائلاً: «أمي من ذهب للتسوق. هل أنتِ بخير هنا؟ هل تشعرين بالوحدة كثيراً؟»

«أشعر بالهدوء المطلق، في الحقيقة، فانني أقرأ كثيراً وأستمع إلى الموسيقى، لا أشعر بالوحدة لكن افتقدكم، ولا أرغب ان امضي وقتاً طويلاً هنا، فأنا اعتقد ان الانسان خلق ليكون اجتماعياً.»

قال: «بالطبع كذلك، ومع قليل من الحظ فانك ستعودين إلى البيت قريباً.»

كانت العمة إيلا هي من وجدت لها هذا المكان، كوخ منعزل في غابة وارويك شاير بعيداً عن الجيران، وله

طريق فرعية غير معبدة. كانت صاحبته صديقة لها تعيش في فلوريدا ولا تأتي اليه إلا في الصيف لتمضي فيه الأشهر الحارة التي لا تطاق هناك. فقد اتصلت بها في ميامي لتسألها ان كانت تستطيع جنيفر الاختباء فيه، ولقد رحبت بذلك قائلة: «تستطيع البقاء طالما تهتم بالمكان وبدون مقابل، فانه يسعدني أن يكون الكوخ مشغول لفترة. ولكن لا أحب المستأجرين لأنني فعلت ذلك مرة وندمت كثيراً، غير انه بالنسبة لك ولعائلتك فانه لي كامل الثقة بك يا إيلا.»

اتصلت مايغن منذ بضعة أيام لتخبر جنيفر ان فيليب قد أطلق سراحه فانتقلت فوراً إلى الكوخ.

أكدت لها مايغن على الهاتف انها لم تخبره انها رأتها، ولكن جنيفر كان لها شكوكها فسألتها: «أنت لم تخبري تيد أيضاً؟»

اضطرب صوت مايغن وقالت: «آسفة، يا جنيفر، أعلم انك سألتني ذلك، ولكن ليس هناك أسرار بيني وبين تيد. انه يثق بي، وأشعر بالذنب ان اخفيت عنه شيئاً، ولكنه وعدني أن لا يخبر فيليب، فلا تقلقي.»

تنهدت جنيفر وتساءلت كم من الوقت سيفي تيد بوعده. إذا كان فيليب جاداً بالبحث عنها. فتيد صديقه، وعاجلاً أم آجلاً سيخبره.

قالت بتأن واضح: «حسناً، الأمر لم يعد يهم، لأنني سأرحل بعيداً. عمتي لديها صديقة في فلوريدا ستؤمن لي مسكناً وأنا بحاجة للراحة، سأذهب إلى هناك لأرتاح وأتمتع بشمس فلوريدا.»

لم يكن عليها التمويه أكثر من ذلك، فلقد مزجت الخيال بالواقع بطريقة جعلت مايغن مرتبكة.

قالت مايغن: «حسناً، اعتقد بأنك ستمضين وقتاً رائعاً هناك، لقد ذهبنا مرة نحن والأولاد إلى عالم ديزني، انه رائع. كم ستمكثين هناك؟»

«لست متأكدة بعد، ولكني لن أعود إلى هنا. على كل حال، سأجد مكاناً أعيش فيه بعد رحلتي.»

لقد أخبرت مايغن قصة ملفقة، وحزمت حقائبها ورحلت إلى مكان يبعد بعض الأميال عن روشمير. في هذا الكوخ ستبقى حتى تتأكد أن فيليب كف عن البحث عنها. لقد حضرت معها العمة إيلا لمساعدتها على الاستقرار.

لقد مرّ اسبوع منذ ذلك الوقت، ولقد احتاجت جنيفر إلى الطعام، ولم تستطع الاتصال بعمتها لأنه لا يوجد هاتف في ذلك الكوخ. لم تقلق لأن سيارتها معها فبامكانها التوجه إلى أقرب قرية للحصول على ما تريد، لكنها كانت تعلم ان عائلتها ستهتم بها وكانت تنتظر زيارة من غارت أو أمه.

حمل الصندوق وأدخله إلى المطبخ الواسع، الذي يأخذ معظم مساحة الطابق الأول. ما تبقى من الطابق كانت غرفة جلوس مليئة بالمقاعد المريحة ومكتبة مليئة بالكتب التي كانت جنيفر تطالعها، وبجانب المكتبة كانت هناك مدفأة. أما في أحد زوايا المطبخ فكان يوجد طاولة مستديرة تلتف حولها الكراسي كغرفة للطعام.

لم ير غارت المكان من قبل، أخذ ينظر حوله وقال: «انه جميل ومرتب جداً، أليس كذلك؟»

قالت: «انه يعجبني.» ووضعت ابريق الشاي على النار. فتحت الصندوق وبدأت بتوضيب الحاجات الذي في داخله: «قهوة، آه، شكراً، لقد نفد من عندي منذ أيام، أكياس شاي، حليب طازج، مربى الليمون، النوع المفضل لدي... أنت وأمك تراعيان كثيراً الآخرين وتهتمان بهم.»

ساعدها غارت في توضيب الأغراض وبهدوء قال: «لقد أتى، يا جنيفر.»

تجمدت وغادر اللون وجهها: «بنفسه؟ متى؟» أحست بألم في حلقها وكانت ترتجف.

قال: «البارحة، ولقد أخبرناه القصة التي اتفقنا عليها... واعتقد انه صدقها.»

سمعت جنيفر الابريق يغلي. كانت تحضر الشاي وكأنها انسان آلي قالت: «هل أنت متأكد انه اقتنع بها؟»

قال باهتمام: «اعتقد ذلك. لقد قلنا له انك في فلوريدا، بالقرب من عالم ديزني، ولم نعطه العنوان لأنك أنت من طلب ذلك.»

كانت ترتجف بشدة، وكانت تتمنى ان لا يلاحظ غارت ما بها. قالت: «كيف استقبل الأمر؟»

ضحك غارت قائلاً: «لنقل الحقيقة... كان منظره مضحكاً. شعرت انه سيلكمني على وجهي، فلقد عبس بي، حتى اعتقدت انه ليس بطبيعي! أليس كذلك؟ اني أفهم لماذا تخافين من مواجهته، فلقد جعلني خائفاً مع انني لا أخاف بسهولة، ولكن اعتقد ان الانسان الذي يستطيع ان يقتل هو انسان مخيف. ليس كل شخص يستطيع أن يكون قاتلاً، أليس كذلك؟»

انفجرت جنيفر: «لا تتحدث عن هذا الموضوع.»

قال: «اعتذر يا جنيفر. عليّ أن أصفع نفسي، لقد نسيت مع من أتكلم. انني أحمق.»

تنهدت بارتياح وابتسمت له معتذرة وقالت: «لا. أنت لا تسيء إلى أحد، أنا من عليه الاعتذار... فانه لا يحق لي أن أصرخ بوجهك هكذا! علي أن أستطيع التكلم بهذا الموضوع. فلقد مضى ثلاث سنوات، منذ ذلك الحين. اجلس يا غارت، لنتناول الشاي مع بعض البسكويت اللذيذ الذي أحضرته لي.»

جلس غارت أمام الطاولة وتناول فنجان الشاي من جنيفر بينما كانت تحضر الحلوى.

تنشق غارت رائحة الشاي الشهية وقال: «هِم... هذا ما أنا بحاجة له...» وأخذ قطعة من البسكويت وتابع: «انها لذيذة. تذوقي واحدة بنفسك. على كل حال، اعتقد باستطاعتك التفكير انك ستغادرين المكان قريباً. بالطبع، فيليب كولهن بطريقه إلى فلوريدا الآن. ولكن أذكرك، انني كنت منتبهاً عندما أتيت إليك، فلقد تأكدت من أن لا أحد يلاحقني، فلذلك بعد بضعة أيام يمكنك الخروج.»

أومأت جنيفر برأسها، ولكنها لم تكن تشعر بالأمان بعد. قالت: «سأفكر بالأمر، اخبرني كيف حال المتجر؟ ما هي الأشياء التي بيعت منذ غادرت؟»

قال غارت وهو يخفي حزنه: «لقد بيعت الساعة بخمس مئة دولار أكثر مما دفعنا بشرائها، فلذلك رأينا انها عرض جيد.»

قالت جنيفر متأثرة: «ولكنك ستندم على بيعها، لقد أمضيت أسابيع في تصليحها.»

قال غارت وهو يبتسم: «أجل، ولكن لا تهتمي، لقد احضرت ساعة يد البارحة مهمة جداً، صناعة سويسرية في أواخر القرن التاسع عشر، فأنا لم أرَ مثلها من قبل. عليّ القيام بالكثير من الابحاث قبل ان ابدأ بتصليحها، فعقارب الساعة مكسورة، ولكن اعتقد انني أستطيع إصلاحها.»

إحتسى الشاي ونظر إلى ساعته وقال: «آه، علي الذهاب يا جنيفر. يجب أن أعود إلى المتجر، فأمي لديها موعد مع تاجر قديم يريد بيع مجموعة من الصور والتحف تعود للقرن التاسع عشر.»

رافقته جنيفر إلى الباب الخارجي، وقالت له: «شكراً لقدومك، يا غارت.»

ابتسم لها قائلاً: «على الرحب، يا عزيزتي. لما هي الأقارب؟»

قالت: «انني محظوظة جداً بك وبالعمة إيلا، اعرف هذا. بلغها حبي وشكري على كل ما تتحملانه لأجلي.»

«اهتمي بنفسك، اعتقد أصبح أمان عليك التجول، ولكن ابق في المنطقة ولا تخاطري بالذهاب إلى ستراتفورد أو وارويك، فقد يكون ما زال في المنطقة.»

غادر غارت، وعادت جنيفر إلى الاهتمام بالحديقة. عندما انتهت دخلت الكوخ لتغتسل، ثم أخذت قصة تاريخية كانت تطالعها، الراديو وبعض الأشرطة الموسيقية التي تهواها واتجهت إلى الحديقة لتجلس على الأريكة. ارتدت

نظارتيها ووضعت سماعة الرأس على اذنيها وجلست وهي تتنهد.

كانت تسمع موسيقى للأغاني المفضلة لديها وتحاول التركيز على الكتاب الذي بين يديها، فهي ما زالت تفكر بما قاله لها غارت. أخذت تحدق بالأزهار التي كانت تظهر بين أشجار الغابة وكأنها ضباب أزرق. أخذت تفكر، هل غادر فيليب إلى فلوريدا؟ بالطبع لن يزعجه ذلك.

لما تشعر بكل هذا الاضطراب عندما تتراءى لها صورته؟

آه! علي التوقف عن التفكير به. هذا ما قالته لنفسها، وأعادت تركيزها على كتابها.

فجأة ظهر خيال على صفحة الكتاب. شهقت بعنف وبنظرة ملأى بالرعب التفتت نحو الخيال: «فيليب.»

للحظة، لم تصدق انه أمامها، لقد كانت تحلم به كثيراً مؤخراً... أحلاماً تبقيها ساهرة طوال الليل. هل هذا حلماً؟ حلماً نهارياً، فعقلها الباطني كان يستحضر لها ما تريده، وما تخاف منه أيضاً.

كان فيليب ينظر إليها بقسوة.

لم يكن وجوده حلماً، لقد كان حقيقة ويبتعد عنها قيد خطوة.

لقد مرت ثلاث سنوات كانت تعيش خائفة من رؤيته ثانية. والآن هو أمامها. أحست ان حلقها جافاً.

نهضت بسرعة لتركض إلى الكوخ. وقبل أن تتقدم خطوة أوقفها فيليب في مكانها. نظر اليها بتكاسل قائلاً: «إلى أين تظنين نفسك ستهربين؟»

حدقت به باضطراب مخيف قائلة: «دعني أذهب.»

ضحك، فخافت. لقد تغير كثيراً. انه انسان مختلف. انه أقسى ووجهه ينم عن شراسة ونظرات عيناه مخيفة.

همست قائلة: «كيف استطعت ان...»

أجاب وهو يبتسم لها ابتسامة باردة: «وجدتك؟ الأمر بسيط، لقد استخدمت تحر خاص ولقد كان يلاحق صديقك.»

«غارت ليس صديقي! انه ابن عمي.»

أجاب ببرود: «لكنه أخذ لك صورة معه.»

امتعضت من فكرة التجسس عليها، وتصويرها. أجابت: «وما في هذا؟ أولاد العم يزورون بعضهم. فأنا احترمه كثيراً.»

وقف فيليب وأخرج من جيب بنطاله صورة فوتوغرافية، نظر اليها ثم رفعها اليها ورمى بها من يده، حملتها الريح بعيداً فوق السياج. نظر اليها ثانية، محدقاً بها بنظرة لاذعة وتابع: «أريد أكثر بكثير من هذا الانسجام العائلي.»

حاولت أن لا تحدق به وقالت: «ما كان عليك القدوم إلى هنا. لم أعلم كيف أطلق سراحك، ولكن اعتقد ازعاجك لي سيضعك في وضع محرج للغاية، فانصرف قبل أن أتصل بالشرطة.»

ضحك بغير احساس بالفرح: «وكيف ستفعلين ذلك؟ فليس لديك جيران ولا يوجد هاتف هنا!»

كيف عرف بكل هذا؟ قرأ السؤال على وجهها فأجاب باقتضاب: «التحري الخاص قام ببعض التحريات. فأنا أعلم من يملك هذا الكوخ، تلك من هي الآن في فلوريدا، وليس الكذبة التي قالتها عائلتك عندما ذهبت للسؤال عنك.» تابع بهزء: «لقد كذبوا كاختصاصين في الأمر.»

رفضت التأسف عن فعلتهم وقالت: «قالوا هذا لحمايتي!»

«انهم على حق، فأنت بحاجة للحماية.» صوته كان كصوت ضرب بالسياط وتابع: «لكنهم ليسوا هنا لتقديمها، أليس كذلك؟ فنحن هنا بمفردنا، يا جنيفر!»

رأى الخوف يلوح على وجهها فلقد كان يحدق بها مطولاً. لقد كانت خائفة منه لأنه لم يعد الرجل الذي كانت تعمل عنده لفترة طويلة. شيء ما مدمر حدث له خلال الثلاث سنوات التي مرت. كان هناك غموض في عينيه كما وانه فقد الاحساس بالتعامل المرن الذي كان يتحلى به. كل شيء فيه كان يحمل تهديداً واضحاً بالخطر. فاذا كانت ستدافع عن نفسها معه، لن يكون لها أي فرصة بالربح، كما وان الكوخ منعزل ولا يوجد هناك انسان على بعد مسافات بعيدة.

همس وهو يراقبها ما جعلها تفكر انه اكتشف ما يدور برأسها: «لقد انتظرت ثلاث سنوات لأعثر عليك.»

أحست بالألم والخوف أكثر، إذا استطاع قراءة ما تفكر به، وما تشعر به تجاهه، فلن تستطيع حماية نفسها.

قال بحدة: «ثلاث سنوات مليئة بالعذاب، يا جنيفر. لم يكن يشغل بالي شيء غيرك... كيف أعثر عليك، وأخيراً وجدتك...»

«لا تقل كلمات كهذه يا فيليب. أنت... أنت لن...»

«بلى.»

قالت بحدة: «لا تهددني.»

ابتسم ببرودة وقال: «أهددك؟ هذا ليس تهديداً، انه مجرد واقع. جيش بكامله لن يحميك مني الآن، يا جنيفر. منذ ثلاث

سنوات كنت احتاج اليك، لقد رجوتك أن تقفي بجانبي، ولكنك تركتني ومضيت.»

قالت: «لم يكن لدي خيار، بعد قتلك داني كيف استطيع النظر اليك مجدداً؟»

قال فيليب وعيناه تلمعان: «ماذا تفكرين سأفعل، أقتلك أيضاً؟»

الصدمة جعلت عيناها تتسعان، فهي لا تعرف ماذا سيفعل. هذا الرجل يبدو لها كغريب، غير طبيعي ومزعج، فهي لا تستطيع أن تفكر ماذا سيفعل، فقط تعلم انها تخافه.

ضحك بمرارة وقال: «لا تخافي، فليس هذا ما أفكر به، مع ان الفكرة خطرت ببالي مرة أو اثنتين، عندما كنت اقضي الأيام والليالي في غرفة أكبر بقليل من خزانة، فلقد كنت أتخيل ماذا سأفعل بك عندما أعثر عليك. لكن قتلك لم يكن خياري. لا يا جنيفر، لدي خطط أخرى لك.»

ابتسم بهزء ولكن كان هناك حقداً في صوته. مايغن كانت محقة، فيليب كان حاقداً عليها لأنها تركته يتحمل عبء الجريمة بمفرده.

قالت مراراً لنفسها، عليها أن لا تشعر بالذنب أو الندم... فماذا تستطيع أن تفعل غير ذلك؟ مع ان الاحساس بالذنب والندم كانا معها منذ الحادثة. قد يكون هو القاتل ولكن كانت تضع اللوم عليها، أكثر مما هو عليه. كانت تعاقب نفسها بالابتعاد عنه، كانت تضع نفسها في سجن من الحزن والاحباط.

قالت وهي تتنهد: «فيليب، ابتعد عني والا سأكرهك.»

قال وهو غاضب: «اكرهيني إذاً، لا أستطيع التفريق بين ما تسميه حب أو كره، طالما ما تشعرين به بكل هذه القوة.»

نظرت بعيداً، لتقنعه انه مخطىء وقالت: «لا أعلم عما تتحدث.»

حدق بها غاضباً وقال: «كاذبة. على من تكذبين، عليّ أم على نفسك؟ لا تكوني جبانة، اعترفي بذلك.»

قالت: «ليس هنالك ما اعترف به!»

قال بصدق: «لقد كان هذا بيننا منذ اللحظة الأولى، عندما دخلت مكتبي. علمت هذا من النظرة الأولى ومع انني لم أكن أسمح لنفسي للاعتراف به. عندما رأيتك شعرت بالضياع، ولكني كذبت كثيراً على نفسي، أخذت أبرر تصرفي بشتى الأمور كي لا أواجه الحقيقة. ولكنني أخيراً علمت اني لم افعل ذلك إلا لأنني معجب بك.»

أحست بغضب شديد وقالت: «توقف عن هذا الكلام.»

قال: «لا، يا جنيفر، أنت توقفي عن الكذب، فأنت لا تستطيعين الاستمرار في العيش بكذبة. لقد حاولنا كثيراً التظاهر بأن ليس هنالك احساس بالحب بيننا، ولكن أخذت الأمور تسوء يوماً بعد يوم. فكلما كنت أنظر اليك أشعر بأن قلبي سيتوقف. وكلما تبتسمين كنت أشعر بالضياع. كنت أشعر بالحب أكثر وأكثر كل يوم. وكنتِ تعلمين بما كان يحدث لي.»

قالت: «لا. لم أكن أعلم.» كانت تكذب وقلبها يخفق بعنف.

كانت تقول لنفسها يجب ألاّ يعلم بماذا تشعر. كانت تخاف أن تخدع داني. فهي مدينة له بأن لا تضعف.

قال بصوت أجش: «كلانا كان يعلم بما يشعر الآخر. ثم علمت ان زواجك كان سيئاً. فلقد كنت حزينة، شاحبة، ثم بعد ذلك أخذت أرى آثار الضرب على وجهك، مع انك كنت تحاولين اخفائها بمستحضرات التجميل.»

أبقت وجهها منخفضاً، كأنها تحاول اخفاء احساسها وافكارها عنه. يجب أن لا تبعد داني، لقد خدعته مرة في تلك المحكمة، ويجب أن لا تعيدها ثانية. لقد خسر داني كل شيء، حتى حياته، وكل ذلك بسببها. فليس لها الحق بالعيش سعيدة.

قال فيليب بصوت قاسٍ غاضب: «هل تسمعينني، يا جنيفر؟ هل تعلمين بما شعرت عندما علمت ان زوجك يضربك؟ لقد أصبت بالرعب. ورغم هذا لم تسمحي حتى بالحديث عنه. كنت أعلم ان الأمر خطير. كنت أريدك أن تتنبهي للأمر قبل فوات الأوان، ولكن كنت عنيدة.»

قاطعته بحدة: «وكيف يجب أن أكون؟ لم يكن لك أي دور في هذا! ما زلت تقول انك تستطيع أن تفهم كل ما يجري داخلي، فلما لا ترى لما رفضت أن تتدخل؟ داني كان زوجي وكنت...»

قال: «لا تقولي انك تحبينه! لقد سئمت من سماعك ترددين هذه الجملة. لقد أحببته مرة. ولكن عندما بدأت بالعمل عندي انتهى ذلك الحب.»

قساوة صوته جعلها تصرخ عالياً: «توقف عن الصراخ.»

قال: «وأنت توقفي عن الكذب. فمن الآن وصاعداً ما أريد سماعه منك هو الحقيقة، فقط الحقيقة ولا شيء غيرها.»

قالت: «لا وجود لحقيقة مطلقة! لا شيء واضح كالليل أو النهار. معظم الأشياء يضللها اللون الرمادي.»

قال فيليب بقساوة: «أنت تحاولين اخفاء الحقيقة. ولكن هذا لن ينفع. أنت تعلمين ما أعني. فليس هنالك حاجة إلى الكذب بعد الآن. فأنت لن تؤذي أحداً بذلك. فإذا كان يعلم شيئاً فهي عاطفتك نحوي. فلما تريدين اخفاءها الآن؟ ألا ترين ان العقاب انتهى؟ فنحن نستطيع البدء من جديد يا جنيفر. لست وحدي من خرج من السجن، أنت أيضاً. نحن نستطيع نسيان الماضي والبدء من جديد.»

لم تستطع الكلام، فذكريات الماضي كانت بينهما. الحب القديم والولاء له. فالماضي هو عدوهما، كان يقف كالجدار بينهما. والذي بنى هذا الجدار هو فيليب بقتله زوجها. ألا يستطيع فهم ذلك؟

قالت بحالة من اليأس: «إنني أحب زوجي.»

ورأت الغضب المدمر في عينيه، فالغيرة حولته إلى انسان بربري وقال: «عندما تزوجته، ربما، فلقد كان حبك الأول، أليس كذلك؟ لقد كنتما كروميو وجولييت. فأنا أتذكر كل كلمة قلتها في افادتك.»

ذكرى المحاكمة، جعلها تشعر بالألم فلقد كانت تتكلم عن أدق تفاصيل حياتها، وكانت تعلم ان فيليب كان يستمع فهو لم يبعد نظره عنها قط.

قال ضاحكاً: «كانت المرة الأولى التي استطعت بها السماع عن حياتك، أم انك نسيت كم من الحقائق والتفاصيل تفوهت بها؟»

لم تتفوه بكلمة. فلقد كانت تتمنى ان تنسى العذاب الذي

عاشته أثناء المحاكمة، وتدخل الغرباء في حياتها الشخصية.

تابع فيليب بهدوء: «في الوقت الذي تقابلنا به انتهى زواجك. أليس كذلك؟ باستطاعتك قول الاعذار ولكن الحقيقة انه لم يعد الرجل الذي تزوجته. بعد الحادث أصبح مريضاً وعندما عاد اليك أصبح مختلفاً حتى انه لم يعد يحبك أو بالأحرى كان يكرهك، فلقد كان يضربك لأنك ما زلت طبيعية تستطيعين الزواج والانجاب. لقد كنتما معاً في نفس البيت ولكن كان يكرهك.»

كلامه جرحها حتى الصميم، قالت: «هذه ليست الحقيقة! فأنت لم تكن تعرفه.»

قال: «اعتقد انت من لم يكن يعرفه جيداً، يا جنيفر. أنت مصرة ان تري فيه الرجل الذي أحببت، ولكنه كان قد أصبح غريباً.»

لاذت بالصمت، غاضبة حزينة، فالذي يقوله هو الحقيقة، ولكن ليس كل الحقيقة، فالحياة معقدة جداً... وليس هنالك جواب واحد، ولا نظرة واحدة لكل الأمور. فداني كان أحياناً يكرهها ويعذبها ولكنه كان مع ذلك يحبها، يرغب في أن تكون سعيدة، كان يشعر بالذنب عندما يؤذيها وحاول مراراً أن يتجنب ذلك.

قالت: «كان ما زال زوجي، وأنت قتلته. إنني لا أستطيع نسيان ذلك، يا فيليب، ألا ترى؟ أرجوك اذهب ولا تعد ثانية. فقط دعني وشأني.»

حدق بها بثبات للحظة. وشعرت انه يقف على شفير بركان جديد من الغضب. ثم تغيرت تعابير وجهه، التف

بقناع من البرودة، فنهض وانصرف عبر البوابة إلى الخارج.

وأخيراً ذهب. حدقت به غير مصدقة. وشعرت بألم في كل حلقها وترقرقت الدموع في عينيها.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

تحركت جنيفر من مكانها وركضت باتجاه الكوخ. فلا بد لها من مكان آمن قبل أن يغير رأيه ويعود.

بالكاد كانت ترى من خلال دموعها. اغلقت الباب وراءها باحكام وتأكدت من ان الباب الخلفي مغلق. وصعدت إلى الطابق العلوي وهي تتعثر وتمسح دموعها بباطن كفها.

فتحت شباك غرفتها لتنظر إلى الحديقة... لم يكن هناك أي أثر لفيليب، لقد ذهب. كما انها لم تر سيارته في المرجة.

إذا كان قد ذهب، فلا بد انه سيعود! هذا ما لمع بفكرها. فالرجل القاسي، الثائر الذي خرج لتوه من السجن لن يستسلم بسهولة.

إلا إذا كان قد صدقك، أخيراً! هذا ما فكرت به. كانت تزرع الغرفة ذهاباً وإياباً. هل اقنعته أخيراً بأنها لن تسامحه؟

نظرت إلى نفسها في المرآة... متوهجة، والدموع تنهمر على خديها.

«أيتها الحمقاء! ستمضين بقية حياتك نادمة على خسارتك له! ألم تكتف حزناً وندماً؟ هل أنت من الحماقة لدرجة انك جعلته يتخلى عنك؟»

ولكن هذا كان عقابها، أليس كذلك؟ فهذا جزاء انها أحبته، لأنها اخطأت مع داني. هناك دائماً عقاب على أي خطأ نقترفه.

أحست وكأنها تسمع صوتاً... شعرت بوجود شخص ما في البيت. خرجت من غرفتها. حين رأته قالت بغضب: «آه... لقد ارعبتني! ولكن... كيف دخلت إلى هنا؟»

قال: «لقد تركت شباك غرفة الجلوس مفتوحاً فوجدت سلماً في الحديقة وصعدت.»

قالت بعصبية: «اخرج من هنا حالاً! لا يحق لك ذلك. الدخول عنوة هو اقتحام وتعرض للبيوت! سأتصل بالشرطة... سأصرخ.»

لم يرد عليها بل أخذ يتأملها بهدوء.

في تلك اللحظة، أحست بالضياع.

عندما بدأ بالكلام أحست بمطرقة تضربها بقوة على رأسها.

قال: «علي الذهاب من هنا خلال عشر دقائق. سيحط تيد بطائرته قريباً من هنا ليقلني إلى لندن. فلدي موعد عشاء مع شخص مهم جداً. عليّ الذهاب، لأنني اتصلت به من هاتف السيارة وأخبرته عن مكاني، فلا بد انه يبحث الآن عن أفضل مكان ليحط به.» صوته الحاد المتزن كان كصفعة على وجهها. لم تصدق انه كان يكلمها بهذه الطريقة.

حدقت به غير مصدقة. كيف يتكلم معها بطريقة جافة بعد حديثهما مطولاً عن حبه لها، وبعدما رحبت بهذا الحب. ما زالت لا تستطيع التفكير عما حدث بينما يبدو انه نسي كل شيء. هل الحب لا يعني له البتة؟ كل ذلك الحديث والاهتمام نسيه بلحظة.

أم انه يتكلم بهذه الطريقة تعمداً؟ محاولاً جرحها! ما زالت

تذكر الغموض في عينيه عندما رأته في الحديقة وتذكر صوته القاسي.

ماذا تعلم عنه الآن؟ لا شيء، فثلاث سنوات فترة طويلة جداً. من الواضح انه قد تغير. ما هي الأمور التي طرأت عليه؟ ما الذي يدور في رأسه.

راقبته كيف كان يتصرف وكأنه في بيته. أخذت تتذكر كلامه، كان يقول انه فكر مرة بقتلها... ولكنها لم تتذكر قط أنه قال انه يحبها. لما كان مصمماً على ايجادها؟ حتى تعترف بحبها له؟ حتى يخضعها لسيطرته؟

مايغن اخبرتها انه أصبح قاسياً، فربما كان يبحث عنها لينتقم منها؟

استجمعت جنيفر ما تبقى لها من كبرياء وخرجت من الغرفة من غير ان تتفوه بكلمة. كان يبدو انه يحاول تحقيرها، وانها لا تعني له شيئاً. حسناً باستطاعة الاثنان أن يلعبا نفس اللعبة فهي لن تنفجر بالبكاء، أو تتشاجر معه ولن تسمح له برؤيتها تتوسله.

دخلت المطبخ وملأت ابريق الشاي ووضعته على النار. وبينما كانت تحضر الفنجان سمعت أزيز طائرة، نظرت من النافذة لتراها تحط في المرجة أمام الكوخ. فلقد كان تيد يحب ان يحط بمروحيته في أي مكان حتى على قطعة نقدية وطالما كانت معجبة بمهارته.

سمعت من خلفها خطوات فيليب الثابتة فلم تجرؤ على النظر إليه ومواجهته.

قال فيليب بفظاظة: «سأنصرف الآن لمقابلة تيد، ولن أحضره معي لأننا سنغادر فوراً.»

أومأت برأسها مخافة أن تنهمر دموعها إذا تكلمت. هل حقاً سيغادر بهذه الطريقة؟ لا شك انه يكرهها ليحاول إيذائها بهذا الشكل.

سمعت خطواته تبتعد، وصرير الباب الأمامي يغلق. نظرت من النافذة فرأته يركض في الحقل، وبعد مرور لحظات أقلعت الطائرة. راقبتهما جنيفر يغادران في أمسية يوم ربيعي بينما كانت الظلال تلاحقهم عبر السهول الواسعة.

امتلأ المطبخ ببخار الماء المغلي ولكن جنيفر لم تستطع التحرك بسبب ما تعانيه. وكأنها انسان آلي أطفأت النار وصنعت لنفسها كوباً من القهوة وجلست تحتسيه وهي ترتجف.

كيف سمحت أن يحدث كل هذا لها؟ كيف اعترفت له بحبها؟ فإذا كان فيليب قد بحث عنها لينتقم منها، فلقد تم له ما أراد. الشعور بالذل سيطر عليها فقضمت شفتيها حتى أدمتهما.

هل سيعود ثانية؟ لم يقل! كما وانها رفضت أن تذل نفسها وتسأله. ولكن هناك أمراً مؤكداً... انها لن تبقى هنا... منتظرة إياه. ففي اللحظة التي تستطيع استعادة جأشها ستغادر. عليها توضيب كل شيء وتنظيف المكان. ولكن إلى أين ستذهب؟ هذا ما كانت تفكر به.

إذا رجعت للعيش مع العمة إيلا والعمل في المتجر، سيستطيع فيليب ايجادها في أي ساعة. لديها المال الكافي وفي استطاعتها ايجاد بيت جديد، وعمل جديد والبدء ثانية في أي مكان آخر.

ولكن لما عليها الهرب؟ لما تسمح له ان يبعدها عن

المكان الذي تحبه. وعن عمل تسعد به؟ وعن العائلة الوحيدة التي لها في كل هذا العالم؟ فهي لا ترغب أن تفقدهم ثانية. وهي تعلم انهم سيحزنون لهذا الأمر مثلها.

ربما عليها مناقشة الأمر معهم أولاً، فاذا كان فيليب مدعواً إلى العشاء فانه لن يعود الليلة! هذا إذا كان راغباً بالعودة! وبذلك يكون لها الوقت لمناقشة مستقبلها مع عمتها وغارت وأخذ نصحهما قبل أن تقرر ما ستفعل.

انتهت من شرب القهوة وصعدت إلى غرفتها لتوضيب ثيابها. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً، لأنها لم تجلب معها أغراضاً كثيرة، فوضعتها في حقيبتين وبعض الصناديق الصغيرة.

حملت الحقيبتين والصناديق إلى المرآب الصغير ووضعتهم في سيارتها. عليها أن تترك الكوخ في حالة ممتازة من أجل صاحبته، فأمضت ساعة وهي ترتب وتنظف. كانت تشعر بالارهاق التام عندما انتهت وأقفلت البيت.

خلال كل هذه الأعمال، كان الليل قد أرخى سدوله. وفي تلك المناطق كانت الظلمة أشد من القرى والمدن. فما ان اطفأت الأنوار في الحديقة حتى أصبحت المنطقة مخيفة وخطرة. غابة سوداء ملأى بحفيف الأعشاب والحشرات الزاحفة.

كان عليها أن تتلمس طريقها إلى الكاراج. وبتنهيدة من الارتياح انارت ضوء المرآب. فتحت باب سيارتها وجلست خلف المقود. وأدارت المحرك.

لم يحدث شيء.

نظرت بدهشة إلى لوحة أجهزة القياس ثم أدارت المفتاح ثانية، لم يحدث شيء، لم يكن هناك أي حركة.

نظرت إلى اشارة الوقود، كانت أكثر من النصف. أخذت تتحقق من كل الأمور التي تحسن التصرف بها، فهي ليست بميكانيكية، ولكن أحياناً كانت تجيد التصرف بالأمور السهلة. ولكن هذه المرة، لا شك ان الأمر جدي فلا وجود لبصيص أمل في المحرك.

قررت بدون شك انها البطارية، وفتحت الغطاء الأمامي لتكشف عليها لم يكن عندها بطارية اضافية ولا عدة لتعبئتها. كما وانها لا تستطيع الاتصال بمرآب ليأتي ويصلح لها السيارة.

لكنها نظرت إلى المحرك، على كل حال علها تكتشف شيئاً. وبالصدفة رأت ان اداة توصيل الكهرباء للسيارة مفقودة، حدقت بمعدات المحرك وزفرة تنهيدة مليئة بالغضب.

وعلمت بسرعة ما الذي حدث. لقد نزعهما فيليب قبل مغادرته. كان ضرباً شريراً منه. فببساطة أوقف السيارة لأنه لا يوجد لديها عدة لتوصيل الكهرباء. كما انه لم تأخذ معه سوى دقيقة لينزع الموصلات الأربعة. ومما لا شك فيه انه قد أخذهم معه عندما طار إلى لندن.

ربما رماهم في الحديقة ولكن مع كل هذا الظلام لا أمل لها البتة في العثور عليهم.

لقد فرض عليها البقاء هناك. صفقت الغطاء وأخرجت حقيبتها. وبالكاد أعادت الأغراض إلى الكوخ حتى أغلقت الأبواب والشبابيك جيداً، ليتعذر على فيليب الدخول ثانية.

ومع بزوغ الفجر ستنهض وتبدأ المسير إلى أقرب قرية. كان عليها الذهاب حالاً ولكنها تخاف السير في الظلام، بمفردها في منطقة نائية. فأعصابها مضطربة لما فيه الكفاية لتنفيذ مثل هذا القرار. فهذا اليوم هو يوم صعب جداً، ولم ينتهِ بعد. شعرت انها لم تعد تحتمل مصاعب أخرى. حضرت لنفسها عشاء من البيض المخفوق وكوباً من الحليب وبعض الفاكهة. وذهبت إلى سريرها بعد ان أقفلت باب غرفتها جيداً.

الفصل التاسع

تمكنت جنيفر من النوم، بسبب الارهاق الذي عانته في يومها. وعندما قرع جرس المنبه في الساعة الخامسة صحت كالمجنونة، نهضت من السرير نصف واعية، تتأوه ومغمضة العينين.

للحظة لم تعِ ماذا يحصل. وقفت بجانب السرير تنظر إلى الساعة بانذهال. الساعة الخامسة. ما الذي يجري؟

عندها تذكرت. لقد تعمدت أن تستيقظ في الخامسة لكي تبدأ المسير مع الفجر إلى أقرب قرية. كانت ترغب في الوصول إلى أقرب كاراج لشراء عدة أخرى والرجوع إلى هنا للذهاب بسيارتها قبل عودة فيليب.

هذا إذا كان راغباً بالعودة! وقد لا يهتم لهذا الأمر... ولكن لماذا عطل سيارتها وحجزها هنا؟

لن تتناول الفطور في هذه الساعة المبكرة، يكفيها فنجان من القهوة. هذا ما فكرت به وهي تنزل إلى المطبخ.

حضرت فنجان القهوة وشربته أمام النافذة وهي تحدق خارجاً. كان وجهها كئيباً وعيناها تائهتين.

انتهت من القهوة، أعادت الفنجان إلى مكانه بعد تنظيفه. استدارت لتنظيف المكان. الألم أصبح رفيقها الدائم، ولكنها طالما تعمل فهي تستطيع تجاهله.

بدأ الفجر بالبزوغ عندما انطلقت خارجاً. لقد كان الصمت رائعاً بانتظار بدء النهار ما عدا زقزقة العصافير وحفيف النباتات والأغصان من حولها.

www.elromancia.com

لم تشارك جنيفر بفرح الطبيعة من حولها. كانت تشعر بالعزلة والكآبة عندما أغلقت الباب وراءها، متمنية لو ان بإمكانها الآ تشعر بكل هذا القلق والحزن. كما وانها لا ترغب بالسير كل هذه المسافة الطويلة. فكل ما كانت ترغب به هو العودة إلى سريرها والنوم حتى الظهر.

أخذت بالمسير على طريق جانبية وعرة بين الحقول تقودها مباشرة إلى الشارع الرئيسي في وارويك. كان هناك الكثير من الحفر والأقنية المنتشرة هنا هناك، لذلك بقيت تتعثر بخطاها. وكان عليها النظر دائماً إلى الأرض لتتأكد أين تضع قدميها.

كانت قد قطعت مسافة طويلة عندما أحست بقدوم خيال من طريق الغابة. ربما كانت شعرت به من قبل لولا اهتمامها بالممر أمامها. وأول ما شعرت به هو صوت السرج وخطوات الحصان القادم باتجاهها.

توقفت ونظرت حولها، رأت الحصان الأسود الكبير ونظرت إلى الفارس وانحبست أنفاسها.

انه فيليب!

أحست بالضياع لمجرد رؤيته وكأنها تجمدت مكانها.

لاحظت بمجرد نظرة إليه تعابير وجهه القاسي من تحت قبعته، لم تكن تعلم انه يجيد ركوب الخيل، ولكن يبدو انه واثقاً من نفسه.

وبذعر واضح أخذت تركض عبر الطريق الضيقة. كانت تأمل ان تستطيع التخلص منه. وعندما سمعت صوت حوافر الحصان خلفها تضرب على الأرض الرملية، انحرفت عن طريقه باتجاه الحقول عبر السياج.

كانت تركض بسرعة قصوى.

لقد أحست وكأنها ثعلب مطارد، لم يكن هناك فرقة للمطاردة، فقط رجل واحد على حصان كبير. رجل ذات وجه رائع، الذي كان يقترب أكثر وأكثر منها بعناد واضح حتى أصبح بجانبها.

انحنى فيليب نحوها. نظرت إليه برعب. وهي تركض بسرعة فتعثرت بحجارة ووقعت على الأرض.

ضربت مؤخرة رأسها بالأرض بقوة. حتى كادت أن يغمى عليها.

عندما استعادت رشدها. فتحت عينيها بذهول وبدأت بالصراخ.

جلس فيليب محدقاً بها بغرابة وقلق: «ما الأمر، يا جنيفر. هل اصابتك مؤلمة؟»

كانت بيضاء الوجه، عيناها غامضتان. شعر فيليب بالقلق من نظرة عينيها ومن صراخها الغريب: «ماذا هناك يا جنيفر؟ ما الذي يؤلمك؟ توقفي عن الصراخ يا عزيزتي، واخبريني ما بك؟»

ولكنها استمرت تصرخ صراخاً مخيفاً، وكأنها لا تستطيع التوقف. أخذ فيليب يتفحصها باحثاً عن جروح. لكنه لم يجد أي جرح واضح ولا أية كسور. فقط بعض الخدوش في احدى يديها التي سقطت عليها. ولكن لا شيء يبرر هذا الصراخ المخيف.

شحب فيليب وشعر بالقلق: «أرجوك، يا جنيفر! هل يؤلمك رأسك؟ توقفي عن الصراخ، واسمعيني. كيف أستطيع مساعدتك ان لم أعرف ما بك؟ جنيفر. أنت مصابة بحالة

هستيرية! آسف بشأن ذلك! ولكن ان لم تتوقفي سأضطر لفعل ذلك!»

وصفعها على وجهها.

توقفت جنيفر عن الصراخ للحظة، ثم بدأت بالبكاء وانهمرت الدموع على خديها.

قال فيليب: «حسناً. الدموع أفضل من الصراخ المرعب. هس... هس... اهدئي يا عزيزتي، واخبريني بما يؤلمك. سآخذك إلى الطبيب حالاً، فسيارتي واقفة خلف تلك الشجيرات على بعد بضع دقائق من هنا.»

قالت وهي تتنهد: «أنا... أنا...»

قال لها بحنان: «نعم، يا عزيزتي. تابعي، ما الذي يؤلمك؟»

قالت وهي تنشج: «أنا من فعل ذلك. أليس كذلك؟ أنا من قام بذلك... وليس أنت...»

قال: «ماذا؟ عماذا تتكلمين؟»

همست وهي ما زالت تبكي: «أنا من قتل داني!»

حدق بها بحنان ظاهر، وقال: «ما الذي تعنيه يا جنيفر؟»

صرخت بعنف: «أنا من قتله. لم يكن أنت البتة. أنا من ضربه بذلك الشمعدان.»

تنهد فيليب تنهيدة طويلة: «لقد تذكرت أخيراً.»

حدقت به بعينين ذاهلتين، واكتسى وجهها الشحوب من الصدمة وأخذت أسنانها تصطك، وأحست بالبرد الشديد.

قالت: «انها الحقيقة، أليس كذلك؟ أنا من فعل ذلك. ولكني لا أفهم... لا أفهم كيف نسيت كل هذا!» ونظرت إليه مرتبكة ويائسة وتابعت: «لم أكن أعلم، فيليب لم أكن أكذب.

بكل بساطة لم أتذكر انني فعلت ذلك إلا الآن، عندما لمعت الفكرة برأسي فجأة من خلال الأحداث.»

كانت عيناه مليئتين بالحب والحنان وقال: «اهدئي يا عزيزتي، لا أحد يتهمك.»

حدقت به بنظرة ملأى بالشك، كانت تبحث عن الجواب في وجهه وهمست تسأله: «ولكن لماذا لم تقل شيئاً؟ لقد تم استجوابك وخضعت للمحاكمة والسجن ولم تقل ولا كلمة، حتى لي، بينما كنت تعلم منذ البداية انني أنا من فعل ذلك. لماذا لم تخبر الشرطة بالحقيقة؟»

لم يجب على سؤالها بل قال: «متى تذكرت؟ عندما سقطت أرضاً؟ أو ربما ضرب رأسك بشيء...»

كانت ما تزال ترتجف ولكن قاطعته: «لا. تذكرت قبل أن أصل إلى الأرض، فجأة تذكرت عندما أمسكتني... عندما شعرت بيدك على حلقي... وكأنها نفس الرؤيا... فلقد تذكرت تلك الليلة. لقد كانت حية... وكأنني أعيشها ثانية. للحظة ما خلتك فلقد اختلطت الأمور علي. لقد كان ممسكاً بي من حلقي بتلك الليلة. كان يجرني على الأرض بقوة، وعندها علمت انه سيقتلني. كنت اختنق وكل شيء اختفى في الظلام عندما...»

أخذ صوتها يرتجف، كانت تصرخ بانفعال وهذا ما أقلق فيليب.

قال: «اهدئي، يا جنيفر، توقفي عن الكلام للحظة وتنفسي بهدوء... عليك أن تهدأي كي لا تعاودي الصراخ ثانية.»

أخذت نفساً عميقاً، كانت ما زالت ترتجف، تابعت قائلة:

«لم أعرف ماذا أفعل، لم أستطع أن أفكر... ما عدا ان أقول لنفسي، سيقتلني، داني... سيقتلني. سأموت، هذا هو الموت، وفجأة شعرت بالرغبة في الحياة، وقد تملكني بعض الجنون فنشبت أظافري فيه محاولة التخلص منه. ولكنه دفع بيدي بعيداً فسقطت على الشمعدان فالتقطته بدون تفكير... وضربته فيه.»

ضعف صوتها وهي تتأوه مغمضة عينيها.

تأوه فيليب أيضاً، وقال: «عزيزتي، لا تفكري بالأمر بعد الآن، تقلقينني عندما تكونين في هذه الحال.»

وكأنها لم تسمعه، تابعت بصوتها الخشن المتغير: «ضربته بأقوى قدرتي وسمعته يئن أنة عميقة، ثم تركني وسقط أرضاً. واعتقد انني فقدت وعيي أيضاً لأنني لا أتذكر شيئاً بعد هذا... إلا عندما صحوت وكنت بجانبي وكان داني...» توقفت عن الكلام وضعت يديها على شفتيها، لتكتم تنهيداتها.

وبهدوء وحنان حاول فيليب التخفيف عنها، حتى توقفت عن البكاء. رفعت رأسها ونظرت إليه: «فيليب، كنت تعلم، لماذا لم تخبر الشرطة بالحقيقة؟ لما سمحت لهم بمعاقبتك؟»

هز كتفيه بلا مبالاة ووجهه كان حزيناً وقال: «في البداية لم استطع التفكير. كنت حائراً، فلقد دخلت لأرى زوجك ميتاً على الأرض وأنت نصف ميتة. ثم بدأت بالصراخ انني أنا من قتله. كنت تنظرين إليّ وكأنك تكرهينني. كنت تقولين انني السبب وانه كان ما زال حياً لولا وجودي. عندها لم أهتم ماذا سيحدث معي.»

قالت وهي تتأوه: «آه، فيليب... آه انني حقاً آسفة... ماذا

عليّ أن أقول لك؟ لقد كنت حزينة ومرتبكة. فلقد كنت أشعر بالذنب ولقد كنت بالفعل واثقة من انك أنت من قتله. لست أدري السبب... اعتقد انني باللاوعي كنت أبحث عن شخص أضع اللوم عليه. لم أستطع مواجهة حقيقة انني قد قتلته.»

قال: «هذا ما استنتجته... لم اعتقد البتة انك ستنسين الأمر كلياً. كنت اعتقد ان تصرفك هذا من الصدمة وانك بعد عدة ساعات، أو ربما يوم ستخبرين الشرطة بالحقيقة. عندها سأوكل أمهر المحامين لنجاتك، كنت متأكداً انه لن تتم ادانتك. فلقد كان الأمر واضحاً. انه مجرد دفاع عن النفس وأنا أوافقك الرأي، انه كان سيقتلك. كان دفاعاً عن النفس ولم يكن لديك خيار. فحب البقاء طبيعة قوية في النفس الانسانية.»

أغمضت عينيها وقالت: «لم أرغب في ذلك قط. لقد كان... مجرد ردة فعل... كنت أحاول ايقافه ولم استطع لأنه كان أقوى مني، وكنت أخاف منه كثيراً عندما يكون فاقداً أعصابه. فقط كنت أريد ايقافه، لم أكن أريد ايذائه فكيف بقتله!»

قال بصوت هادىء: «لا أحد يلومك يا عزيزتي، لا أحد، وأنا بالتأكيد لن أفعل!»

تنهدت قائلة: «لا تفعل! آه، أشعر بالأسى! لقد جعلتك تتحمل كل النتائج. لما جعلتني أفعل هذا بك؟ كان عليك اخبار الشرطة.»

ابتسم لها وقال: «لم أكن اريد أن ألعب دور الشهيد الوفي. لم يكن الأمر كذلك. فقط لم أتكلم وانتظرت متوقعاً أن تعترفي أنت بما حصل. وبعدها أدركت انك لن تفعلي ذلك.»

«آه... عندما أفكر... بما كنت تشعر؟ كم كان وضعاً حرجاً لتضع نفسك به. ومع هذا ما زلت لا أفهم لما لم تقل الحقيقة!»

نظر إلى عينيها وقال: «حسناً. كما ترين، كنت مغرماً بك.»

أعادت كلماته اللون إلى خديها ولمعت عيناها بالاحساس المفعم وقالت: «آه، يا فيليب.»

ابتسم وقال: «لم يطل بي الأمر حتى علمت انك مصابة بنوع من فقدان الذاكرة.»

قالت: «لقد كنت أكذب، محاولة أن أضع كل اللوم عليك.»

ابتسم قائلاً: «لا، لم أفكر قط هكذا، فأنا أعرفك ما فيه الكفاية، ولكني استنتجت أن موت داني صدمك لدرجة ان عقلك الباطني لم يواجه الحقيقة بأنك أنت من قتله، ولحماية عقلك من الجنون فقد محى من ذاكرتك كل ما حدث في تلك الليلة.»

شعرت بالذعر وقالت: «آه... فيليب. ولكن في المحاكمة... قالوا ان بصمات اصابعك كانت على الشمعدان، فوق بصمات اصابعي... لا شك انك لمسته... بعد ان...»

قال: «لقد اخذته من يدك.»

أجفلت وهي تقول: «كنت ما زلت ممسكة به.»

قال: «نعم.»

ازدادت شحوباً وقالت: «كان عليك اخبار الشرطة، فما كان عليك تحمل المسؤولية.»

قاطعها قائلاً: «لو كان عليك مواجهة الحقيقة وقتها، فلا

شك انك كنت قد فقدت عقلك. لأن عقلك اللاواعي محى الحادثة من ذاكرتك ليحميك. ولو انني قلت الحقيقة، فقد كنت أعلم انني لن أجبرك على التذكر. فقد أكون بذلك أدمر حالتك الصحية. كما انني لا أرغب في رؤيتك في السجن أو في مصح عقلي وأنت في تلك الحالة المنهارة.»

همست وهي تتذكر ما حدث: «آه، يا فيليب. لقد دخلت السجن عني، وأنا أخبرتك انني لا أريد رؤيتك مطلقاً، وانني أكرهك.»

قال بسخرية: «لم يكن من السهل تقبل هذا الوضع. كما وانني لم أتوقع أن تعترفي بما حصل، ولكنني فكرت انك ستقفين بجانبي خلال محاكمتي أو ان تزورينني في السجن. كنت أعلم انك تعتقدين انني من قتل زوجك ولكن أيضاً تعلمين انني فعلت هذا لأجلك. لذلك كنت آمل أن تبقي على اتصال، وعندما أخرج كنت أتوقع انك ستكونين بانتظاري.»

قالت: «ليس من العجب أن تغضب مني كثيراً ولا شك انك كنت تكرهني.»

ابتسم بعذوبة وقال: «كان لدي بعض المشاعر العنيفة عليك، ولكن الحقيقة لا أستطيع أن أكرهك، يا جنيفر. لا تستطيعين أن تفكري مطلقاً انني سوف أكرهك.»

والتقت عيناهما، وشعرت بالخجل فلقد تذكرت اعترافها بحبه أمس. نظرت جانباً وقالت: «كان عليك أن تكرهني، ما كنت أضع اللوم عليك لو فعلت.»

قال: «ألا ترين اني أحبك يا جنيفر.

أتريدين البقاء في الحقل، وإلا اعتقد ان نباشر بالسير حالاً.»

تابع قائلاً: «سنذهب إلى سيارتي. لأستعمل الهاتف من أجل أخذ موعد عند طبيب اختصاصي لك كي يتأكد من انك بخير.»

قاطعته قائلة: «انني بخير، انها الصدمة وليست الجروح التي جعلتني أتذكر.»

قال باصرار: «وان يكن، عليّ التأكد من انك بخير. كما عليّ الاتصال بالاصطبل لكي أخبرهم ماذا حصل، فلا بد ان ذلك الحصان الأحمق قد عاد مباشرة إلى هناك. وقد يرسلوا فريقاً للبحث عني خوفاً من ان أكون قد سقطت أو جرحت، ولا شك انهم سيضحكون علي لأنني أخبرتهم انني خيال ماهر.»

نظر اليها بقلق وقال: «ربما عليك الجلوس والبقاء هنا حتى أحضر السيارة لنقلك.»

قالت باصرار: «لا. انني بخير.»

أخذا بالمسير عبر الحقول.

كانت سيارته قريبة تحت الأشجار في نهاية الحقل، كما قال لها. اتصل فيليب وكان يضحك عما كان يسمعه من الطرف الآخر.

تمتم قائلاً: «يسعدني انه عاد سالماً، سأتصل بك عندما أرغب في ركوب الخيل ثانية، إلى اللقاء.»

أقفل السماعة ونظر اليها مستفهماً: «والآن، ما هو رقم طبيبك في هذه المنطقة؟»

قالت: «لا يوجد لدي طبيب، كما انني لا أرغب في رؤية طبيب يا فيليب!»

نظر اليها باصرار وقال: «اعتقد عليك ذلك، ولكن لما لا نذهب إلى لندن ونأخذ موعداً لدى طبيب ذو خبرة عالية.»

وافقت قائلة: «ليكن ذلك غداً.» وهكذا وافق هو أيضاً.

قاد السيارة باتجاه الكوخ. قالت وهي تضحك: «بالمناسبة يا فيليب، أين موصل الكهرباء بالسيارة؟ كنت أنوي الاتصال بالشرطة للتبليغ عن تلك الحيلة المخادعة.»

قال: «غير انه لا يوجد لديك هاتف، اخبريني، هل غضبت كثيراً عندما علمت بالأمر؟»

قالت: «غضبت جداً!»

قال: «هذا كل ما فكرت به، كي تبقي هناك. كنت أخاف أن أفقدك ثانية بعد رحيلي. أو أعود وأرى الكوخ فارغاً. ولم أكن أرغب في ملاحقتك ثانية، لذلك قررت أن أجعل الرحيل صعباً عليك. وكنت آمل أن يكون الوقت متأخراً عندما تكتشفين ماذا حصل للسيارة ويصعب عليك السير للوصول إلى أقرب قرية.»

كان هناك سؤالاً يراودها لم تستطع التهرب منه فقالت: «ولكن لماذا غادرت بهذه الطريقة؟»

ضحك وقال: «بعد كل ذلك الحب والتفاهم!»

قالت: «لقد كنت قاسياً جداً وجافاً، ما الذي غيّرك هكذا؟ حتى انني اعتقدت انك فعلت كل هذا لتنتقم مني، فلقد كنت يائسة جداً بعد رحيلك.»

قال متأثراً: «كيف تفكرين بهذه الطريقة، يا جنيفر؟ هل حقاً لم تدركي شعوري؟ لقد كنت مجبراً على الرحيل إلى لندن مع تيد، ولكن صدقيني كان هذا من أصعب الأمور عليّ.»

«ولكن لماذا لم تخبرني؟ حتى انك لم تنظر إلي؟»

قال بصوت أجش: «لو انني نظرت اليك لما استطعت مفارقتك.»

قالت: «آه! حقاً؟»

ضحك وتابع: «أجل يا جنيفر! كان علي تركك البارحة لأن ذلك يعني اما الحفاظ على شركتي أو خسارتها.»

نظرت إليه باستغراب قائلة: «ما الذي تعنيه؟ بالطبع لست جاداً.»

قال: «كل الصدق.»

قالت: «ولكن... انني لا أفهم... كيف يحدث هذا؟ لا أحد يستطيع أخذ شركتك منك، فأنت صاحب أكثرية الأسهم، أليس كذلك؟»

وجهه كان قاسياً وساخطاً: «نعم، ولكن باستطاعة الشركاء التصويت لادارة الشركة من قبل غيري وبذلك يبعدونني، وكان ذلك محتمل جداً.»

قالت: «ولكن لماذا؟»

قال: «عندما كنت في السجن، كان المدير البديل، روجر جفري، قد اعتاد على أخذ القرارات والتحكم بالشركة، وبذلك لم يرد التخلي عن ذلك، فلقد كان مهندساً طموحاً جداً.»

صدمت جنيفر، فهي لم تكن وحدها من استغله. والآن بسبب الجشع. قالت: «آه، لا. بعد كل ما فعلت لأجله؟ كيف استطاع؟ كنت اعتقد انه صديقك.»

قال: «هذا ما كنت اعتقده. ولكن الرجال الطموحين ينسون الصداقة بين ليلة وضحاها. ولحسن الحظ، علمت بالأمر من تيد، الذي كان يراقب الأمور باستمرار ويخبرني بها، فهو أهل للثقة. وكان علي التصرف قبل قيامهم بالخطوة الأولى. ولم يكن أمامي غير خيار واحد الاجتماع بصاحب أكثرية الأسهم الباقية. هل تذكرين السيدة ايفنز

العجوز، تلك التي تمضي معظم أيامها في البرتغال.»

نظرت إليه باهتمام: «لقد أتت إلى المكتب يوماً ما، أليس كذلك؟ امرأة عجوز، تضع عدة خواتم كبيرة في يديها.»

قهقه عالياً وهو يقول: «تلاحظ النساء الأمور الأشد غرابة! نعم إنها آيمي. انها امرأة غنية جداً. زوجها ترك لها كمية كبيرة من الأسهم قبل أن يتوفى. فلقد كان صديق والدي من أيام الدراسة. كما وانني أعرفها منذ نعومة أظافري وكنت أعلم انني إذا تكلمت معها أستطيع اقناعها. هذا ما كنت أفعله البارحة. لأنها اغتاظت كثيراً باتهامي بجريمة قتل انسان وذهابي إلى السجن. فاستغل الوضع جفري ومعاونيه لاقناعها بالتصويت ضدي في مجلس الادارة. ولكن كنت أعلم ان مجرد التكلم معها بمفردنا سيعيد الأمور إلى نصابها. لقد تجاوزت السبعين من عمرها، ولا تهتم بالأعمال كما انها رغبت ان تتخلص من الأسهم التي لديها، وبالطبع لن أدع الفرصة تمر.»

قالت بصوت كئيب: «يبدو كأن الأمور لن تنتهي، أليس كذلك؟ بعد كل الذي فعلته لأجلي، كنت ستخسر شركتك أيضاً. هل هذه ستكون المصيبة الكبرى؟»

قال: «لا، المصيبة الكبرى هي خسارتك أنت، يا جنيفر.»

اتسعت عيناها ولمعتا ببريق الحب وقالت: «فيليب.»

جوابه كان مفعماً بالثقة: «لو كان علي الاختيار بينك وبين عملي، ما كنت ترددت للحظة. فأنا أستطيع البدء من جديد. ولكنني لن أجد امرأة مثلك قط.»

تنهدت وقالت: «آه، يا فيليب... تجعلني أشعر... انني لا أستحق حباً بهذا الحجم.»

قال: «أنت أغلى شيء صادفته في حياتي. فأنا لا أستطيع التوقف عن حبك كما لا أستطيع ان امنع نفسي عن التنفس. فأنت كل ما كنت أفكر به وأنا في السجن. كنت يائساً في الخروج من هناك، فقط لكي أجدك، فلقد كنت قلقاً عليك. كنت أشعر وكأنك على فوهة بركان، انك بأية لحظة قد تستعيدين ذاكرتك. وهذا ما كان يشغلني. فلقد كنت أريد أن أكون بجانبك في تلك اللحظة لأتأكد ان الحقيقة لن تدمرك.»

أغمضت عينيها وتنهدت قائلة: «انه أمر مخيف، أليس كذلك؟ مع انني لم أقصد قتله وما زلت لا أريد موته. ولكن هذا ما يفسر احساسي الدائم بالذنب، فلقد كنت اعتقد ان احساسي هذا بسبب شعوري تجاهك. ولكن الحقيقة ليست كذلك. فلقد كان هناك شيء بداخلي يعرف الحقيقة بكاملها.»

قال: «اللاوعي له أدوار غريبة، واعتقد أن من الأفضل لك أن تقابلي طبيباً نفسياً. فالعيش مع الاحساس بالذنب أمر صعب ولا نعرف نتائجه.»

قالت: «يجب أن أتأكد من ذلك، كما علي أن أخبر الشرطة بالأمر.»

قال باصرار: «لا. ليس هناك من حاجة لاخبارهم بشيء.»

قالت: «ولكن من المهم أن تعرف الحقيقة واعادة الأمور إلى نصابها.»

قاطعها: «الجزاء قد دفع، لقد دفعته عنك، وأنا لا أريد أن تتقاضي ثانية لأجله.»

قالت: «ولكن...»

«لا، لكن... انني مصر جداً بأن لا تخبري الشرطة، ولا أي شخص أيضاً.»

قالت باصرار: «اعتقد انه علي فعل ذلك...»

قال: «لا، لا تفعلي، لأنك ان فعلت، فالشرطة سترى انه يجب عليهم مقاضاتك، بعد كل هذا، لأن عليهم الاعتراف بخطئهم بأنهم وضعوا بريئاً في السجن. أليس كذلك؟ ولقد كان هناك جريمة واحدة... لماذا علينا نحن الاثنان دفع الجزاء عنها؟ لقد دفعت الحق العام عن هذه الجريمة، إذاً عديني جنيفر بألا تخبري أحداً بما حصل.»

قالت بحزن: «ولكن أدين لك بهذه الحقيقة!»

قال وقد نفد صبره: «جنيفر، أرجوك، افعلي ما أقوله لك. لا تتفوهي بكلمة عن الحادثة إلا للطبيب المختص الذي سيعاينك.»

تنهدت بعمق وقالت: «كما انني أدين لداني بقول الحقيقة، أليس كذلك يا فيليب؟»

قال: «أنت لا تدينين له بشيء، وانني متأكد انه لو كان هنا يسمعك لقال لك ذات الكلام. فلقد كنت زوجة صالحة واستمريت بحبه رغم ضعفه ومرضه. كما انك كنت مخلصة ووفية له وتحملت منه كل تصرفاته القاسية والصعبة. لكن داني توفي منذ ثلاث سنوات، يا عزيزتي، وقد حان الوقت لدفنه، فانسي الأيام الصعبة وتذكري أيامك الحلوة معه. اظهري له المسامحة وودعيه بغير حزن ولا ذنب، فقط ودعيه [illegible] بسلام. والآن اعتقد بعد معرفتك الحقيقة، سيكون ذلك [illegible] سهل عليك.»

قالت باذعان: «شعوري بالذنب منعني من زيارة قبره ولو لمرة.»

قال ببساطة: «كنت اعتقد ذلك.»

تنهدت وقالت: «آه، يا فيليب، أتعجب كيف تستطيع أن تكلمني بعد كل الألم الذي سببته لك.»

قال بهدوء: «اني أحبك يا جنيفر.» وخرج من السيارة واقترب من جهتها محاولاً مساعدتها للخروج وقال: «ما رأيك لو نتزوج لتعرفي كم أحبك؟»

رفعت عيناها المشعتان بالحب التي كانت تسطع في وسط السماء. وكانت العصافير تغني في غابة وارويك شاير، والأزهار الزرقاء منتشرة تحت أشجار السنديان، وبدأ يوم مشرق جديد. وأخيراً تحررت من كل مخاوفها السوداء ومن كل الماضي الذي أسرها طويلاً.

تمت